بذور الرشد

﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾

تفسير
سُورَةِ الحَدِيدِ
ٱلۡمُيسَّر

• **عنوان الكتاب:** بذور الرشد، تفسير سورة الحديد " الميسر "
• **اسم المؤلف:** د. محمد باباعمي
• **الطبعة الثالثة، مزيدة:** 1440هـ - 2019م
• **مقاس الكتاب:** 125 × 190
• **عدد الصفحات:** 180
• **ردمك:** ISBN 978-9931-9466-9-4
• **الإيداع القانوني:** السداسي الأول، 2019.

Copyright © 2019 Kitabook

Cité Ghaalloul, Bordj El Bahri, Alger Tél: 023.957.273 E-mail : Info@kitabook.net

بذور الرشد

تفسير
سُورَةِ الحَدِيدِ
ٱلْمُيسَّر

محمد باباعمي

كتابك
Kitabook

بسم الله الرحمن الرحيم

بنيَّة العمل

لا يعنيني في شيءٍ أن أفسِّر القرآن الكريم، فقد فسَّره علماء كرام؛
ولكني أحيا به ومعه، ثم أتخذه منطلقا لفكري، وصبغة لفعلي...
في رحلةِ العمر، وقد جاوزت الخمسين حِجّة؛
وهي مرحلة لا أرجو معها ولا بعدها إلَّا معية الله جَلَّجَلَالُهُ،
وصحبة كلامه، وكنف رحمته ورضاه ؛
أسأله سبحانه صلاح أمر أمَّتي، وأن يفرج عنها،
ويظهر دينه على سائر الأديان،
وأدعوه أن يصحح بكلامه الحكيم انحراف البشرية
الفكري والثقافي والحضاري،
وأن يسخرنا في إطار «نموذج الرشد»،
وبالاستعانة بـ«بذور الرشد»، لهذا السبيل،
أُشهدُ اللهَ أن ليس لي في الدنيا أمنية، إلا أن يجتمع عدد من العلماء،
فيجتهدون في علوم القرآن والتفسير، وعلوم المعنى والتنزيل؛ بعقل
جَمْعِيٍّ، داخل مراكز بحثية دائمة؛ تنفق فيها أموال أثرياء الأمة،
وتسخر لها سلطة تحميها، وتجند لها سواعد وعقول
خيرة علماء هذه الأمة...
لنحقق بذلك نقلة حضارية توحيدية، نبتغي ذخرها عند الله تعالى
وما بين يدي القارئ الحبيب هو صورة لهذا المعنى،
وهو ظل لتلك النية، في انتظار تحقيق المطلوب، وبلوغ المرغوب
اللّهُمَّ فاشهد، وبلغ المقصود

فريق العمل

• الأمانة والتنسيق:	أ. جابر ناصر بوحجّام
• الإشراف الفني:	أ. جابر موسى باباعمي
• التصميم والتنفيذ الفني:	أ. ياسين بوشارب
• متابعة النشر والطباعة:	أ. محمد الحاج سعيد
• المراجعون:	أ. جابر ناصر بوحجّام

مقاصد تفسير الرشد

- تحبيب كلام الله تعالى للناس بعامَّة، وللناشئة والشباب بخاصَّة.
- عرضُ التفسير في صورةٍ غير منفِّرة لمن لم يألف مطالعة المجلدات.
- الوصول بكلام الله تعالى في حياتنا اليومية إلى حال التمثُّل والتناغم، بعيدا عن حال التكلف والانفصام.
- الخروج من دائرة الاختلاف في الأصول وتخطئة الآخر؛ إلى سعة المعاني المتفَق عليها، والتي تمثل أصل الدين ولبه؛ مع اعتبار الأوجه التي تؤشر إلى رحابة الدين، والتي تمثل الفروع، الجائز الاختلاف فيها.
- اعتماد مصادر التفسير كلِّها: من سنة نبوية، وآثارٍ عن الصحابة، وأقوال للتابعين، وتفسير مَن بعدهم عبر القرون؛ بعيدا عن جفاء القطيعة.
- الإسهام في تحذير الناس من الجرأة على كلام الله، والتقول على الله تعالى بما لم يقل.
- اعتبار اللغة مصدرا أساسًا لفهم الآية القرآنية؛ لكنه غير كافٍ لوحده.

- توظيف الجملة وحدة معيارية للفهم بديلا عن النص المسترسل الطويل؛ وذلك استفادة من منهج القرآن الكريم في اتخاذه الآية وحدة معيارية لبنية المعنى.
- استثارة العمل بعد فهم الآية القرآنية، ذلك أنَّ الغرض من كلام تعالى هو «الامتثال والتمثل» لا مجرد الحفظ والأداء والفهم.
- الدعوة إلى إعمال العقل الجماعي في إنجاز مشاريع لا حصر لها، من مداخل معرفية متجاوزة للتخصص، في فهم كلام الله تعالى.
- الدفاع عن الفهم المطيافي، الذي أسسنا له منذ عقدين من الزمان «المبني على اعتماد الموشور المعرفي، المكوَّن من عقول متباينة، وتخصُّصات مختلفة، وحالات ونماذج معرفية متعددة... للوصول إلى فهم ديناميكي حركي للآية القرآنية».
- تحريك مراحل تحويل المعلومة إلى سلوك، من خلال بذور الرشد: السؤال، الافتراض، الرؤية الكونية، القاعدة الكلية، الصورة الإدراكية، مخطط الفعل، الفعل الحضاري.

في ضيافة سورة الحديد

أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى:

لو اعتبرنا سورة الحديد على شكل «دائرةٍ» للحياة الدنيا ولما بعدَها في الآخرة، فإنَّ محور الدائرة ومركزها يقوم على «أسماء الله الحسنى، وصفاته العلَى»؛ ولو صوَّرنا السورة على شاكلة مُنشأة وبنيانٍ مرصوصٍ؛ فإنَّ الخرسانة الحديدية والإسمنتية فيها، تقوم على «أسماء الله، وصفاته» سبحانه جل جلاله؛ فمِن أوَّل السورة إلى آخرها تركِّز الآيات البيناتُ عليها، تنطلق منها لتعودَ إليها، فتربِّي إنسانا يغمر «حركة الوجود» بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو مع ذلك ربَّانيٌّ، قلبُه وضميرُه متوجهٌ إلى السماء، وجوارحه ونشاطه مرتكزٌ على الأرض؛ إنسانٌ أمله في حسنِ المصير، وإرادته قائمةٌ على إحسانِ المسير.

ففي افتتاح السورة بالتسبيح تذكيرٌ بالمسبَّح به وحدَه، الله سبحانه وتعالى: ﴿سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾؛ ثم تتوالى صفاته تعالى مثل شلال هادٍ هادرٍ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَاللهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾... إلى أن نُنهي الرحلة الممتعة الشيِّقة بين الآفاق والأنفُس، عند آخرِ السورة، وقد أسرفنا وضيَّعنا نحنُ البشر، وهو مع ذلك سبحانه ربُّنا الغفَّار ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ويزيد على المغفرة والرحمة فضلا منه عظيمًا: ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

ولا نملك إلَّا أن نلهج بذكر أسماء الله وصفاته إيمانًا ويقينًا، ونجسِّدها علمًا وعملًا، فنتخذها صبغة لحياتنا بكلِّ تلوُّناتها وتقلُّباتها؛ ومَن كانت ـ أسماء الله وصفاته ـ نورَ قلبه، وعطرَ لسانه، وهديَ جوارحه، ووجهةَ مقصده؛ كان ـ حديدا ـ لا يُكسر ولا يَصدأ، وكان مصيره مصيرَ المؤمنين والمؤمنات ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾؛ ثم يقال لهم يوم اللقاء المنتظَر: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

حال الإنسان ومصيره، وعلاقته بربه:

نزل القرآن الكريم من الله سبحانه من السماء إلى الأرض، المخاطَب به هو «الإنسان» في إنسانيته: في قوَّته وضعفه، في إحسانه وظلمه، في غفلته ويقظته؛ وسورة الحديد تذكِّر الإنسان بحاله ومصيره، وتدفعه إلى أن يقوِّي علاقته

بربِّه الكريم، الذي لم (ولن) يُسلِمه لضعفه، ولكنَّه أسنده بمعيته، شريطة أن يؤمن ويتَّقي، ويعمل صالحا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ وَاللهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرۡجَعُ الأُمُورُ﴾، ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾، ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

هذه الرسائل وغيرُها تنبعث من الآيات الدافئة، الحانية، المشفقة، الرحيمة؛ لتقول لك وتلحَّ في القول: «لا تنس أنَّ لك ربًّا رحيمًا، فلا تغترَّ ولا تنخدع بذاتك القاصرة، واربط حركاتك وسكناتك به سبحانه، تجد كلَّ الحماية وكلَّ الرعاية منه في الدنيا، وتجد الرحمة والأجر والفضل العظيم عنده في الآخرة».

عجيبةٌ هي هذه العلاقة بين الإنسان وربِّه: يجوع فيطعمه، يخاف فيؤمِّنه، يجهل فيعلِّمه، يخطئ فيصوبه، يذنب فيغفر له، يضعف فيقوِّيه، يعصي فيستره، يسأل فيجيبه؛ وهو سبحانه يرزقه رزقا حسنًا من لدُنه، ثم يدعوه أن يُقرض الله مما رزقه، لكي يؤجره على ذلك جنَّات وخلودا، فيقول له لو سمع: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقۡرِضُ اللهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾، ثم يقول له لو استجاب: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾.

الكون الفسيح، وموقف الإنسان منه:

لو أنَّنا تتبعنا الشعر الجاهليَّ، وقرأنا ما يحمله من ألفاظ ومصطلحات كونية، فلكية، علمية؛ لانتهينا إلى أنها لا تخرج من الحال الطبيعية لابن الصحراء، وهو يشبِّه القمر بحبيبته، والنجوم في الليل بدوابِّه؛ ثم جاء القرآن الكريم بفهمٍ جديد، وقاموسٍ جديد، وموقفٍ من هذا الكون الفسيح جديد... فهمٍ يقوم على «البحث العلمي»، و«النظر المنهجيِّ»، و«الاستكشاف والتحليل المعرفيِّ»... فهمٍ عميقٍ يبدأ وينتهي بالتسبيح لله، والتفكُّر في الله، وبحمده وشكره؛ وبذلك تطوَّر «علم الفلك» على يد علماء المسلمين المتشرِّبين أبعاد هذه الآيات، ثم انطلق نحو الآفاق البعيدة، ليستقرَّ برهة في الغرب، بعد نهضته، وبعدما ألقى الفكرة الخرافية مِن عقله، وراح يحرِّر فكره من كلِّ القيود والأوهام والطلاسم.

إلَّا أنَّ الغرب ـ للأسف ـ لم ينته إلى حالة التسبيح، بل تنكَّر للخالق، وادعى القوة في المعرفة، واعتبر العلم استغناء عن كلِّ حاجة خارج دائرة الإنسان، ومن ذلك أننا نقرأ عند الرياضي «هنري بوانكاري» في كتابه «قيمة العلم» قوله:

«إنَّ علم الفلك نافعٌ؛ لأنه يسمو بنا فوق أنفسنا ذاتها»،

«إنَّ علم الفلك هو الذي يبين لنا كم أنَّ الإنسان صغيرٌ بجسمه، وكم هو عظيمٌ بالفكر»؛ فهذه مقدِّمة صحيحة، يُنتظر منها أن تنتهي إلى نتيجة صحيحة؛ لكنَّه ينحرف بها إلى جهة الغرور، فيقول: «ذلك لأنَّ تلك الضخامة الساطعة التي لا يوجد فيها جسمه إلَّا كنقطة مظلمة يمكن لذكائه أن يحيط بها كلَّها، وأن يتذوَّق تناغمها الصامت، هكذا نصل إلى الوعي بقوَّتنا».

ثم يقول بغرور وادعاء: «نحن اليوم لا نتوسَّل إلى الطبيعة، بل نتحكَّم فيها؛ لأننا اكتشفنا بعض أسرارها».

فهل الإنسان يحيط بالكون حقًّا؟ وهل الإحاطة العلمية تمنح التحكُّم والقوَّة؟ وهل الإحساسُ بالقوة يستدعي التفكير في الخالق الواهب لها؟ أم أنه إحساس يتنكَّر لخالق هذه الأكوان، وخالقِ هذا العقل الذي به نقرأ ونشاهد ونفهم ونحلل، ثم نصيب ونخطئ؟

ألا يستدعي كلُّ ذلك منَّا أن ننظر في الكون بتواضعٍ، وأن نسبِّح الله على عظمة الكون وعلى عظمة العقل جميعا؟ أليس مقام التسبيح هاد لنا نحن البشر، ذلك أنَّ الله سبحانه لا يزيده تسبيحنا شيئا، ولا ينقصه جحودنا شيئا؟ أليس الله تعالى أهلا للتسبيح حتى وإن عدِم المسبِّح؟

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قانون الحركة، وإيقاع سورة الحديد:

الحديدُ معدن ومكوِّن أساسيٌّ للأرض وللحياة كلِّها؛ وقد ورد ذكرُه في السورة مقرونا بالحركة: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾؛ ولقد تتبعتُ آي السورة فوجدتها متجاوزة للإيقاعات الحضارية المألوفة؛ فمِن أوَّل السورة والقارئ يساير كلَّ «**من في السموات والأَرض**» وهو «**يسبِّح لله**»، ثم تستوقفنا عملية «**الإحياء والإماتة**»: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، وهي حركةٌ تعبِّر عن الانتقال مِن عالم السكون والكمون إلى عالم الارتقاء والنماء، بفضل الله تعالى وحده.

ويواصل القارئ مسيره إلى أن يلاحقَ بذكائه ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، وكذا ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، ثم يسجِّل حركة البشر جميعهم وهم يدأبون: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ۚ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؛ ثم يشاهد ولوج الليل في النهار وولوج النهار في الليل. وجميعها حركات لا يحصيها العدُّ، ولا يعرف مداها وحقيقتها إلَّا الله تعالى وحده.

ثم ننتقل إلى «حركة القلوب» مقرونة «بحركة الأرزاق»؛ فهي لا تنفكُّ عنها: ﴿ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا﴾؛ والفصل بين الحركتين إجهاض «لحركية الحياة»، وإماتة لدين الله

تعالى في الوجود؛ وهذا - لعمري - مما ابتلي به إنسان هذا العصر؛ وقد تحكَّم في المقدَّرات الكفَّارُ الجاحِدون، وعجز عن العطاء المسلمون الموحِّدون.

ثم تستهوينا «حركةُ النور»، وهي غير «حركة الضوء»؛ وشتان بين النور وهو يشمل الماديَّ والمعنويَّ، الدنيويَّ والأخرويَّ، الفيزيقيَّ والميتافريقيَّ... والضوءِ الذي هو من مظاهر المادة التي تحيط بنا؛ ومن جمال أسلوب القرآن أنه حتى النور يوصف فيه بالحركة والسعي: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾، ثم يحيرنا مشهد «حركة المؤمنين» نحو الجنة، نورهم يسعى بين أيديهم، والمنافقون من ورائهم يتخبطون في الظلمة، ويقولون: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾؛ وننتهي في آخر السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾، يكفي أنَّ النور نفسه عنوان حركة، إلَّا أنه سبحانه أضاف إليه حركةَ الإيمان والإحسان: ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾.

ومحور السورة فعلُ الأمر: سابقوا: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ والمسابقة حركةٌ سريعةٌ ذاتُ مقصد واضحٍ، نحو رضا الله تعالى، ونحو جنته سبحانه؛ تلك الجنة التي تفوق السماء والأرض سعة وحجما: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ﴾.

أمَّا السكون في السورة فكله مذموم، ذلك أنَّ الثبات على الحقِّ ليس سكونا؛ أمَّا السكون والخنوع، المناقض للحركة وللنشاط، فيمثَّل له بـ«البخل»، وبأمر الناس «بالبخل»: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾. ومن أنواع الخمود والجمود: «التربص»، و«الارتياب»، و«الاغترار بالأماني»، و«القعود عن الجهاد». وقد تكون ثمة حركة إلى غير قصد، ويمثَّل لها بـ«اللعب واللهو»، و«التفاخر والتكاثر»، وكلِّ ما يشي بالاغترار وبالغرور.

حقًّا، إنَّ الإسلام نظامٌ ارتضاه المطلق للمقيَّد، الثابتُ للمتغيِّر، الدائمُ للفاني؛ أي الله سبحانه وتعالى للإنسان المكرَّم من قِبله؛ إنه نظامٌ يقوم على مبدأ الحركة الدائمة والصاعدة نحو تكاملِ الحياة والإنسان في أفضل صيغة أرادها الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الاِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

بهذا المنهج التوحيديِّ، الذي ينطلق من قاعدة «أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا» ويرتكز عليها؛ ثم يتخذ «حال الإنسان ومصيره، وعلاقته بربه» أسداءً لنسج حركية الفكر والفعل؛ ويستكشف الكون الفسيح، بما فيها السموات

والأرض، والليل والنهار، والحديد والماء، والأنفس والمشاعر... لأجل ربط الإنسان بالحقيقة المطلقة، وبالقوة التي لا تُقهر، وبصاحب الفضل العظيم سبحانه. ثم يتناول المعاني مقرونة «بقانون الحركة، ومنطق الحضارة»، بغية الخروج بالمسلم من حال التخلُّف إلى حال التمكين، من حال التبعية لغير الله إلى حال «معية الله».

من هذا الموشور والمنظور نستأذن القارئ الحبيب، ونلج «سورة الحديد» برفق وخشوع واستسلام؛ سائلين الله تعالى العون والعفو والغفران.

داعين المولى الكريم: اللهم آتنا كفلين من رحمتك، واجعل لنا نورا نمشي به، واغفر لنا، وزدنا من فضلك، وقد قلتَ وقولك الصدق: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿1﴾

بذور المعنى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: البسملة إيذان بالدخول في بستان القرآن الكريم، وإعلان عن الاختيار في كلِّ شيء؛ وهي للتسبيح سببٌ وثمرةٌ، وللملك شعارٌ وعنوانٌ، وعلى الحياة والموت دليلٌ وبرهانٌ؛ هي عصارة التوحيد، وخلاصة التجريد، ومنتهى الاستسلام لله ﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾. بهذا الروْح الإيماني المتعالي تتوالى فصولُ السورة، إلى أن تحطَّ رحال سفينها عند برِّ الأمان: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: تسبيحُ ما في السموات والأرض، ومن فيهما، وما بينهما، لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكون طوعًا وكرهًا: طوعًا وهو تسبيح طاعةٍ وعبادةٍ، وكرها وهو تسبيح علامةٍ ودلالةٍ.

- تسبيح المخلوقات جميعها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو تسبيحُ حقيقة لا تسبيح دلالةٍ فقط، والدليل قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

- تُحمل ﴿مَا﴾ على ظاهرها، ويكون المعنى: ما من مخلوق إلَّا ويسبِّح الله تعالى، سواء أكان جوهرا أو عرَضا، عاقلا أو غير عاقل، موصوفا أو صفة... أي كلُّ ما يصدق فيه وصف «الشيء المخلوق» سبَّح لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- ﴿الْعَزِيزُ﴾: هو الغالب الذي لا يُغلب، وفي اللغة العزيزُ: هو الشيء النادر الذي ليس له مثيلٌ؛ والآية تحمِل المعنيين معًا في حقِّ الله تعالى؛ فهو سبحانه عزيزٌ لا يُقهر، وعزيزٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

- ﴿الْحَكِيمُ﴾: هو الذي يضع الشيء في موضعه ووقته بحكمة وعلم؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.

- مؤدَّى الآية أنَّ عزَّة الله تعالى عزَّةُ حِكمة وقدْر، لا عزَّة جبروت وبطش.

التشغيل والتفعيل

- اختتمت سورة الواقعة بأمر من الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، فجاءت فاتحة سورة الحديد، استجابة وتمثلا للأمر الربَّاني، تسبيحًا من المخلوقات جميعا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ وناسب أن ينخرط المسلم في صف المسبِّحين، ويقول: «سبحان ربي العظيم».
- كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ المسبحات، وكان يقول: «**إنَّ فيهنَّ آية أفضل من ألف آية**». ورجَّح بعض التابعين أنها ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ من سورة الحديد. ورجح بعض أنها أواخر سورة الحشر.
- المؤمن عزيزٌ، حريصٌ على العزَّة، في غير ظلمٍ ولا تجبُّر؛ وهو لا يذلُّ لغير الله تعالى؛ فلا مطامع دنيوية، ولا مبرِّرات سياسية، ولا اعتبارات انتمائية، تسمح له أن يفقِد كرامته أمام الخلق.
- توجِّهنا الآية إلى النظر في السموات والأرض؛ أي إلى

«علم الفلك»، لفهم أسرار الكون، ودراسة ظواهره، ورصد تحركات النجوم والأجرام السماوية؛ وتوجِّهنا إلى «دراسة الأرض»، وما فيها ومن فيها، بمختلف العلوم والتخصُّصات؛ وكلُّ ذلك يزيدنا علمًا بأنفسنا وبعالمنا، ثم بربِّنا، فنؤمن به، ونسبِّح له، ونطيعه، ولا نشرك به أحدًا.

- «إنَّ علم الفلك نافع؛ لأنَّه يسمو بنا فوق أنفسنا ذاتها، إنه نافع لأنه عظيم، إنه نافع لأنه جميل؛ إنَّ علم الفلك هو الذي يبيِّن لنا كم أنَّ الإنسان صغيرٌ بجسمه، وكم هو عظيمٌ بالفكر» هذا ما يقرره «بوانكاريه» صادقا في جزء مما قال؛ غير أنَّ القرآن الكريم يعلِّمنا كيف نتجاوز فكرنا إلى أن نبلغ به وبحواسنا وقلوبنا وجميع مداركنا مقامَ «التسبيح» لله سبحانه، ونحن نمارس «علم الفلك»، فـ«مقام التسبيح» هو أرفع مقام في منظومة المعرفة البشرية.

من الفكر إلى الفعل

- واجب الإنسان أن يتناغم مع الكون في مداومة التسبيح لله سبحانه وتعالى.
- أيها المخاطب بسورة الحديد، أمرَك ربك أن تديم التسبيح لله تعالى في كل وقت وحال.
- وأن تدعو الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى.
- المؤمن عزيز بدينه، حكيم في قوله وفعله.
- التذلُّل لله تعالى عزَّة، والتذلّل لغيره هوان.
- أن تنظر في السموات والأرض بعقلك وقلبك.
- عناية الأمة بعلوم الكون والطبيعة أولوية حضارية
- الغاية من العلم الاستسلامُ للخالق سبحانه.
- بلوغ مقام التسبيح بعلم، وعن علم، مقصد معرفي وفكري وحضاريٌّ عظيم.
- معالجة المنظومة المعرفية لتكون ذات قاعدة توحيدية، يستدعي الكثير من الاجتهاد، ومن تجاوز الموجود والمحدود.

قال الله تعالى:

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿2﴾

بذور المعنى

- ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: مادة (م.ل.ك) تأتي بالفتح «مَلْك»، وهي المقدُرة والإرادة؛ وبالكسر «مِلك»، وتعني امتلاك الشيء؛ وتأتي بالضمِّ «مُلك» كما في هذه الآية، ومعناها أن تملك مَن يملك، فهو تعالى يملك الأشياء، ومن يملكها، ويملك المُلك نفسه. ولذا علَّمنا سبحانه أن ندعوه بقولنا: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ...﴾.
- لا مالك إلَّا الله، وإذا قيل لغيره «مالك» فعلى

سبيل المجاز؛ والأحكام المتعلِّقة بملك الناس في الشريعة والفقه صحيحة؛ لكنَّ لفظ «الملك» فيها توسُّع. والمَلِك الحق هو الذي يستغني عمَّن سواه في ذاته وصفاته وأفعاله؛ وجميعُ من سواه محتاج إليه، ولا موصوف بهذا إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- مُلك الله تعالى على ثلاثة أنواع: ملك السماوات والأرض، وملك ما في السماوات والأرض، وملك غيب السماوات والأرض. وما دامت السماوات والأرض متناهيتان، وملك الله سبحانه غير متناه، فإنَّ ملكهما كـ«لاَ شَيْءٍ» مقارنا بملكه اللامتناهي، والمثال مضروب للعقول البشرية التي تفهم بالمحسوس والمحسوب والمشاهد، ولا تقدر على تصور ما هو أعظم من ذلك إلَّا قليلًا.
- ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: الله تعالى أوجد من عدَم وأمدَّ من عُدم، ومن أسمائه الحسنى: المحيي المميت؛ ولا أحد ينازع الله تعالى في الإحياء والإماتة: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾.
- ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهو يخلق من عدَم، ويخلق من مخلوق، ويحفظ خلقه أو يَذهب به، كما يشاء، سبحانه. وكلمة ﴿شَيْءٍ﴾ هي أدلُّ شيء على كلِّ شيء.

التشغيل والتفعيل

- لا يقصِد العاقل من لا يملك، ويطلبه حاجتَه؛ وإنما يسأل من ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ومن له «ملك الملك»، و«مُطلق الملك»؛ وهو الكريم الذي لا يحرم من سأله بيقين؛ فهلَّا سألناه حاجاتنا كلِّها موقنين.
- ما دام الله تعالى هو الذي ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فلا خوفَ من فوت ولا من موت، ولا حرص على وجد ولا على فقْد.
- الإحياء والإماتة مما اختصَّ به الله تعالى لا يشاركه فيه أحد من خلقه، ولا أحد يدَّعي أنه يصنع الحياة، أو يوجدها من عدمٍ؛ وإنما الذي يفعله العلماء أنهم يحوِّلونها ويعملونَ حولها، لا غير.
- طلاقة القدرة عند الله تعالى تدفعنا لأن نسأله ما نشاء، ونلوذ إليه فيما نريد؛ بلا حاجز ولا خوف ولا تردد.
- يحيي الله تعالى النفوس ويميتها، ويحيي القلوب بإقبالها عليه، ويميتها بإعراضها عنه. فمن أراد الحياة أقبل، ومن ابتغى الموت أدبر؛ وللعبد أن يختار بين الحياة والموت، لا مثل موت الأجسام التي لا اختيار فيها.

- في مقال «وهم الاكتمال» نقرأ: «ثم تمرُّ الأيام، وتبرد «دفقة التملُّك» من قلب الإنسان الولهان، مثل «دفقة الماء» ترشح مرَّة واحدة، قد تكون قوية، ثم تغور وتجفُّ وتفور».

من الفكر إلى الفعل

- هلَّا سألنا الله تعالى حاجاتنا موقنين. فمن أراد الحياة أقبل على الله تعالى.
- العاقل من يقصد مالك الملك، لا من ملكه زائل.
- ذكر الحياة، وذكر الموت، يقوِّي الإيمان، ويقرب المؤمن إلى ربه.
- المؤمن الحقُّ يطلب الحياة لأجل الموت، ويطلب الموت لأجل الحياة.
- أكثروا من ذكر هادم اللذات: الموت.
- بحوث الحياة: أصلها، حقيقتها، نقلها، حفظها... مما يجب على الفكر الاعتناء بها من منظور الإيمان والتوحيد، بديلا عن مدخل الشرك والجحود.
- علوم الحياة تشوهت في الفكر الإسلامي حين انتقلت من سؤال الكيف «كيف؟»، إلى سؤال الماهية «ما هي؟» «لماذا؟».
- للقراءة: مقال «**وهم الاكتمال وحبُّ التملك**»، محمد باباعمي من كتاب «**أصول الإيمان**».

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾

بذور المعنى

- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾: قبل كلِّ موجود ﴿وَالْآخِرُ﴾: الباقي بعد فناء كلِّ موجود. وإذا أطلق لفظ الأوَّل فلا ينصرف إلَّا إلى الله تعالى؛ وكذلك الآخِر.
- ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ لنا جميعا؛ ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: المستور عنا جميعا.
- هو سبحانه ظاهرٌ بآياته وآثاره في الوجود، باطنٌ بذاته سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.
- هو الأوَّل بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر

فلا خفاء في جلاء عزه، والباطن فلا سبيل إلى إدراك حقِّه.

- هو سبحانه الأوَّل لاستحقاقه صفة القِدم، والآخِر لاستحالة نعت العدَم؛ وهو الظاهر بالعلو والرفعة، والباطن بالعلم والحكمة.
- وفي حق العبد يقال هو الأوَّل بأن اصطفاك، وهو الآخِر بأن هداك، والظاهر بأن رعاك، والباطن بأن كفاك.
- ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: مع أنه باطنٌ يعلم ما ظهر، ومع أنَّه ظاهر يعلم ما بطن؛ فهو عالم بكلِّ شيء. لا كالحادث الباطن لا يعلم الظاهر، والحادث الظاهر لا يعلم الباطن.
- وهو بكلِّ شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء من خلقه، دقَّ فخفي، أو عظم فظهر؛ لأنه هو سبحانه الخالق لكلِّ شيء، والحجة على الجاحد قوله: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.
- والآيات دالة على أنَّ الله تعالى يتجاوز في صفاته الزمانَ والمكان، ويتجاوز جميع ما يتوهَّم من حدودٍ تحدُّ المخلوق؛ هو فوق الحدود، منزَّه عن القيود، علمه مطلق، وقدرته مطلقة، وجميع صفاته وأفعاله سبحانه مطلقة.

التشغيل والتفعيل

- الأسماء الأربعة لله تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن؛ هي فرع من اسمه «المحيط»، و«المحيط» فرع من اسمه «القدير»، و«القدير» هو فرع من اسمه «العليم». والفرعية والأصلية في حق الله تعالى هي باعتبار مداركنا، لا باعتبار حقيقتها التي لا ندركها، سبحانه جَلَّجَلَالُهُ.
- نقول في حقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: «يا أوَّل لا قبلَ آخرٍ، ويا آخر لا بعد أوَّل؛ ولكنَّ ذاك من ذاك، فقِف أيها العقل عند منتهاك».
- الآية الكريمة تنقضُ جميع النظريات التي تتنكر للخالق والخلق، والتي تستبدل بها الصدفةَ، والطبيعة، والدهر، والتطور، والفوضى؛ وغيرها من الكلمات التي لم يدلَّ عليها دليلٌ علميٌّ يقينيٌّ، وإنما هي مجرَّد تخمينات لا أساس لها من الصحَّة. لكن، يبقى أنَّ المسلمين اليومَ فرَّطوا في البحث العلميِّ، ولم يحققوا نظريةً في الخلق، قرآنية المنشأ والمنطلق، بها يخاطبون البشرية بكل أطيافها.
- يقول الفارابي في «عيون المسائل»: «الباري، جلَّ جلاله، مدبِّر لجميع العالم، ولا يعزُب عنه مثقال حبَّة

من خردل، ولا يفوت عنايته شيءٌ مِن أجزاء العالم، على السبيل الذي بيَّنَّاه في العناية، من أنَّ العناية الكلية شائعة في الجزئيات».

- والجدل حول علم الله تعالى بالكليات دون الجزئيات، ليس جدلا داخل دائرة المسلمين، بجميع فئاتهم، فلا يقول بذلك عالم مسلم موحِّد؛ وإنما هو ردٌّ على فلاسفةٍ غير مسلمين مثل أرسطو.
- لكن، يبقى أنَّ الحدَّ الفاصل بين الكليَّات والجزئيات يستحيل تعيينه، مع تطور «فيزياء الكمِّ» (La physique quantique) أو ما يعرف بـ«فيزياء متناهي الصغر». بهذا يكون علم الله بكلِّ شيء، علما لا حدَّ له ولا حصر، فهو «علم مطلقٌ»، بل هو خَلقٌ مطلق، وتدبيرٌ، وتقدير...

من الفكر إلى الفعل

- من واجبنا أن ندعوَ الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته، ومنها: يا أوَّل يا آخِر، يا ظاهرُ يا باطن. ثم نسأله حاجتنا بيقين.
- أن نعتقد جازمين أنَّ الله بكلِّ شيء عليم، ونعمل وفق هذا الاعتقاد.
- الله سبحانه يعلم الجزئيات والكليات، نؤسس عقيدتنا على هذا المعنى، ولا نحيد. ثم نتجاوزه إلى فهم أكثر عمقا وعلما.
- واجب العصر على المؤمنين أن يُبدعوا نظريةً في الخلق: قرآنية المنشأ والمنطلق. يؤسِّسون عليها فلسفة العلم عندهم.
- الاهتمام بالفيزياء، وبفيزياء الكمِّ بالخصوص، مما وجب على المسلمين الاجتهاد فيه.
- للقراءة: «**البحث عن قطة شرودينجر**» لجون جريبين. و«**نهاية الصدفة**» لبوجانوف.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾

بذور المعنى

- كم من علم يمكن أن يستنبط من الآية؟ وكيف يمكن صياغة منهج اكتشاف الكون وكشف أسرار الأنفس، بناء على هذه الآية العظيمة؟
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: هو الذي خلق، لا غيره، والجملة للاستئناف، تفيد معنى الاستدلال على انفراده تعالى بأنه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وأنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ﴾، وأنه ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

- ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ليست هي مدة العلاج والمزاولة من الخالق سبحانه؛ ذلك أنه سبحانه لا يحتاج إلى زمن ليخلق الخلق؛ وإنما هي وقت الاكتمال بالنسبة للخلق نفسِه، أي ما يحتاجه الخلق ليكتمل خلقُه، مثل حاجة الجنين لتسعة أشهر حتى يكتمل سَننيًّا. وفي ذلك تعليم للخلق أنَّ كلَّ مخلوق ينضبط زمنًا وحالًا؛ وحاشا الله أن يتزمَّن أو يتقيد بزمنٍ هو خالقُه.

- ويومُ الخلق ليس هو اليوم الذي يعرفه أهل الأرض، ذلك أنه متعلِّق بالشمس ودورانها، وبالأرض ودورانها؛ ومعلومٌ أنهما لم تستقيما بعدُ أوان الخلق؛ فتبين أنَّ اليوم في شأن الخلق بمعنى «المدَّة والحقبة من الزمن» لا يعلم مداها إلَّا الله تعالى؛ ولا يملك العقل علمًا في شأنها، إلَّا ما ورد من وحيٍ صادقٍ؛ وفي تفسير الوحي يصطدم العقلُ بحدود معرفته وإدراكه؛ ولا يملك إلَّا أن يسلِّم الأمر والحكم والمعنى لله سبحانه.

- ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: أي سبحانه خلق الكون ودبَّر شأنه، واستتبَّ له الأمر فيه؛ ومِن معاني الاستواء: القهرُ، والغلبة، والعلم، والهيمنة، والتدبير،

والتصريف، والحفظ. وفي حديث رواه الربيع بن حبيب، استوى على العرش سبحانه «ارتفع ذكره وثناؤه، ومجده وعظمته تعالى».

- ولا بدَّ في فهم معنى الاستواء على العرش أن نعترف أنَّ اللغة عاجزةٌ، وأنَّ عقل الإنسان عاجزٌ، حيال فهم معناه؛ وأنَّ ما ورد فيه من خلافٍ بين علماء الكلام، وبين المذاهب الإسلامية، لا يعدو أن يكون دليلا على العجز في الفهم البشريِّ، وعلى محدودية إدراكه؛ فأنى للمحدود أن يدرك المطلق، وأنى للغة أن تستوعب الأزل والأبد، والاستواء والعرش... ومن ثم وجب التسليمُ لله تعالى، مع وجوب التسامح في الاختلاف ما كان بنيَّة التنزيه، وتحت قاعدة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ الله سبحانه الذي وُصف بأنه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، يعلم ما يلج ويدخل في الأرض، أي في جوفها، أو على سطحها: مثل المطر، الذي يسلكه الله تعالى ينابيع في الأرض.
- ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ﴾، مثل الحديد؛ والنور، والهواء... وغير ذلك مما لا نعلمه في عالم المادة؛ وكذا الملائكة التي تنزل من السماء إلى الأرض بأمر منه سبحانه، والجنُّ الذين ينزلون إلى الأرض

من مواطنهم؛ والشياطين التي تنزل لتغوي العباد؛ وغير ذلك مما لا نعرفه. وكذا منهج الله تعالى، أي الوحي المنزَّل على العباد من الله سبحانه.

- ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ العروج هو الصعود، ومن جملة ما يعرج فيها الملائكة، تنزل من السماء إلى الأرض، وتعرج من الأرض إلى السماء، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَآئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.
- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ لا يحجبه ظاهرٌ عن باطن، ولا باطنٌ عن ظاهر.
- ومعية الله تعالى نوعان: منها ما معناه أنَّ الله تعالى معنَا بعلمه، رقيبٌ علينا، شهيدٌ على أعمالنا؛ وهي معية لا تخطئ أيَّ خلق من خلق الله تعالى. ومنها معيةٌ خاصَّة بالمؤمنين، ينصرُهم ويؤيِّدهم بها، كما قال سبحانه لسيدنا موسى وأخيه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ وكما قال سيدنا محمد ﷺ في الغار: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» ثم تلا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.
- من معاني معية الله تعالى سبحانه، أن يَصبغ المخلوق بصفة من صفاته، من مثل صفة: العلم، والرحمة، والحلم، والسلام.

التشغيل والتفعيل

- ما دام الله تعالى «معَنَا» فلنعتبر معيَّته، ولنُحسن التصرُّف بناءً على علمنا؛ ولنحذر المعاصي، فهو سبحانه يرانا. وفي الحديث الشريف: «**اتق الله أن يكون اللهُ أهون الناظرين إليك**»، فلا تجعل الله أهون الناظرين إليك.
- عوض أن يركِّز المرء على كون الله تعالى يراهُ، ويرتب على هذا الإيمان عملَه الصالح وإحسانه: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»؛ عوض اتباعِ هذا السبيل القرآنيِّ السليم، نجد الكثير - بخاصَّة من المتطفلين على العلم - يتجادلون في رؤية الله تعالى، فيفسِّقون ويبدِّعون ويضلِّلون مَن يعتقد خلاف رأيهم. أمَّا أن يتناقشوا بعلم، ويحترموا الاختلاف، ولا يقطعوا عذر المخالف؛ فذاك ثراءٌ للأمة، وعبادةٌ للعالِم، وأجرٌ عند الله سبحانه.
- تخلُّف المسلمين اليوم في علم الفلك، وفي حقول النظر إلى خلق الله العظيم، وفي البحث المنهجيِّ في الأنفس والآفاق، ورَّثهم تبعياتٍ، وورَّث البشرية جحودًا؛ ذلك أنَّ الناظر الباحث بات غير مؤمنٍ، فاقدًا للغاية؛ وأنَّ الذاكر بلسانه، التالي لكتاب ربِّه، صار بعيدا عن هذه العلوم، إلَّا قليلا.

- من العلوم المستنبطة من الآية: علم الفلك، علم الكوسمولوجيا (تاريخ الكون)، علم تاريخ الأزمنة والتحقيب، علم الفيزياء الفلكية، علم الرياضيات، علم الجيولوجيا، علم طبقات الأرض، علم الرصد، علم المياه، علم المحيطات... هذا في المجال المادي المشاهَد؛ أمَّا في المجال المعنويِّ، والنفسيِّ، والغيبيِّ؛ فلا حصر لهذه العلوم، إذ لا تزال البشرية بعيدةً كلَّ البعد عن حقائق هذه المجالات ومناهجها.
- منذ سنوات وأنا أطالع مصادر ومراجعَ عن تاريخ الكون، وبخاصة عن لحظة الخلق؛ والذي انتهيت إليه أنَّ التقسيم الثنائي لعلوم الكوسمولوجيا هو تقسيم أيديولوجي، منحازٌ إلى العلموية، باعتبار العلم دينا لا مجرد علمٍ؛ ومن ثم قسِّم المجال إلى: علم الكون الفيزيائي، وعلم الكون الديني (أو الأسطوري)؛ وينظر إلى الأوَّل على أنه علمٌ دقيقٌ يُعتمد عليه، أمَّا الثاني فكما يدلُّ عليه اسمه، هو علم أسطوريٌّ، لا يكتسب من العلم إلَّا الاسمَ.
- والغريب أنَّ ما ورد من نظريات فيزيائية حول بداية الكون لا تعدو أن تكون «خيالًا علميًّا» لا يسنُده دليل، إلَّا ما كان من استنباط، أو محاكاة... ولو كان المجال واسعًا، لمثلت لبعض ما جاء عن العلماء حول الثواني

الأولى من خلق الكون، إذن لقرأنا العجب العجاب، مما يحير العقل. ثم يتجرَّأ بعض من ينتسب إلى الإسلام فيعتبر ما ورد في القرآن الكريم غير دقيق، ولا هو بحقيق أن يعتمد ويعتدَّ به.

- سبحان العلي العظيم القائل: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، وهم مع ذلك يتنكرون لعلمه، يجعلونه أسطورة، ويُعلون من علمهم الهزيل إلى مقام اليقين، حقًّا «قتل الانسان ما أكفره»؟!
- والدعوة اليوم قائمة وأكيدة، أن تتحرَّر عقولُنا من التقليد بشقيه: التراثي والعلماني؛ فنلج عالم الكون الفسيح، من مدخل قرآني، وبوسائل وآليات فيزيائية خالية من الأيديولوجيا.

من الفكر إلى الفعل

- نحرص على معية الله لنا، ونسأله: اللهمَّ ارزقنا معيتك وحفظك.
- كلما أقدمتُ على معصية تذكرتُ: «لا تجعل الله أهون الناظرين إليك».
- أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- استحضار النية في طلب العلم بجميع تخصصاته ومستوياته، على أنه عبادة لله تعالى.
- الجدل الكلامي حول رؤية الله تعالى، مما لم نُتعبَّد به، ولا يجوز تكفير المخالف، ما دامت النية تنزيه الباري عَزَّوَجَلَّ.
- اعتماد المنهج الاستنباطي عوض منهج الإعجاز العلمي، لاقتحام عقبة العلوم بلا تبعية معرفية.
- ارتفع ذكر الله تعالى وثناؤه ومجده في الوجود، فوجب أن نرفعه في حياتنا حقًّا.
- أن نجتهد في علوم الكون، وعلوم الأنفس، لئلا تكون أمتنا تابعة، ذليلة، وعالة على غيرها.
- للقراءة: «**أصول الإيمان: التوحيد ووحدة الأمة**» لمصطفى وينتن، ومحمد باباعمي. و«**الكون بداية ونهاية**» لمحمد الجزار.

قال الله تعالى:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ۝5﴾

بذور المعنى

- من أوَّل السورة إلى هذه الآية تكرَّر ذكر ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أربع مرَّات، وتراوح المعنى بين: التسبيح، والملك، والخلق؛ ثم تعود هذه الآية إلى دلالة «الملك».
- ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: الله تعالى يقيم دعوى على أنَّ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾؛ فلو كان ثمة إله لاحتجَّ؛ ولو وُجد ولم يعترض لما حُقَّ له أن يكون إلها؛ بل وحتى المنكرون للإله، الملحدون؛ لا يدَّعون هذه الملكية؛ فمجرَّد المعرفة بالأكوان لا

تواتيهم؛ وما يعرفون من الكون لا يعدو أن يكون مقدار ما يحمل المخيَط من ماء حين يُغمس في بحر، بل أقلَّ من ذلك.

- ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾: الله تعالى «معَنا» ولكن ليست معيته عارية من الغاية والمعنى؛ وإنما العودة إليه ستكون للإنسان المكلَّف حتى يحاسبَه، مُستفرغا الأسباب التي أمره بها؛ أمَّا لغير العاقل، فكونُه لا يخرج عن تصرُّفه وقدرته، سبحانه: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلهِ﴾.

- والأمر اسم للشأن والحال، فيعمُّ الأفعال والأقوال، والتدبير والتصرُّف، والجواهر والأعراض. والأمر هو السلطة الكاملة على الشيء؛ وذلك معناه أنَّ الأمر لله كله، وأنَّ الحكم لله جميعا. سبحانه جلَّ شأنه.

- ومن معاني رجوع الأمور إليه سبحانه أنَّ الحقيقة المطلقة ليست لأحدٍ إلَّا له، وكلُّ ما يعلمه الإنسان فيه حدٌّ من النسبية، ومن ثم وجب أن يرجع أمره كلَّه إليه: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالاَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

التشغيل والتفعيل

- الاهتمام بعلوم الفضاء والكون، بات من أولويات التربية والتعليم للإنسان المسلم؛ والجهل بها يحمل معنًى من عصيان الله تعالى في أمر تكوينيٍّ، ألا وهو النظرُ في الكون، والاعتبار به: ﴿قُلُ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.
- ما دامت الأمور ترجع جميعُها إلى الله سبحانه قهرًا، فلمَ لا نُرجع أمورنا الاختيارية جميعَها إليه تعالى: طاعةً، وإيمانًا، ويقينًا، وإخلاصًا؛ فننال الأجرَ عنده مرَّتين؟.
- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «**ألا أعلِّمك دعاءً تدعو به، لو كان عليك مثل جبل أحُدٍ دَينًا لأدَّاه الله عنك، قل يا معاذ: اللهمَّ مالك الملك؛ تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء؛ وتعزُّ من تشاء، وتذلُّ من تشاء؛ بيدك الخير إنك على كل شيء قدير؛ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء؛ ارحمني رحمةً تغنيني بها عن رحمة مَن سواك**».
- يقوم «نمط التملُّك» من الإنسان، على طبيعة الملكية الخاصَّة. فكلُّ ما يهمُّ في هذا الأسلوب من الوجود

هو «حصولي على الملكية، وحقِّي غير المحدود في المحافظة على ما حصلتُ عليه». وهذا الأسلوب يستبعد الآخرين، ولا يقيم اعتبارا لهم، ولا يتطلب مزيدا من الجهد من جانبي للاحتفاظ بملكيتي أو لاستخدامها استخداما منتجا». وهو مرادف لمفهوم الشهوة. والإيمان بأنَّ الله تعالى هو «المالك» يخفِّف من حدَّة هذا النمط؛ ويقي من مزالقه.

من الفكر إلى الفعل

- ﴿قُلُ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أمرٌ تكوينيٌّ فكريٌّ حضاريٌّ من الله تعالى لعباده المؤمنين، يستوجب الإجابة الفورية.
- نرجع أمرنا إلى الله تعالى باختيارنا، ما دامت ترجع إليه قهرا.
- حين يكون علينا ديْن أو حاجةٌ ندعو بدعاء معاذ ونلحُّ في الدعاء: «اللهمَّ مالك الملك...».
- دائرة المجهول عندنا أوسع من دائرة المعلوم، فلنتواضع لله تعالى ليعلِّمنا.
- ضرورة اهتمام التربية والتعليم بنشر أبعاد الكون الفسيح في عقول التلاميذ والطلبة.
- الإيمان بأنَّ الله تعالى هو «المالك» يخفِّف من حدَّة بناء الحياة على محور «التملُّك».
- للمطالعة: «**الامتلاك أو الوجود: الأسس النفسية لمجتمع جديد**» لإريك فروم. و«**العالم من منظور غربي**» لعبد الوهاب المسيري.

قال الله تعالى:

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿6﴾

بذور المعنى

- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: يولج في اللغة معناه «يُدخل»، وقد اتفقت على ذلك مصادرُ اللغة؛ ولكن ما الحكمة من العدول عن لفظ «يدخل» إلى «يولج»؟ أي ما الفرق الدقيق بين الصيغتين؟
- معنى الآية أنَّ الله تعالى يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل؛ أو معناه كما ذكر صاحب الصحاح: «يزيد من هذا في ذلك، ومن ذلك في هذا»، وهو في كلا الحالين تعبير عن حقيقة تغير

طول النهار والليل، بين الفصول الأربعة.

- تنتقل الآيات الأولى من السورة، وهذه الآية كذلك، بين «آيات الآفاق» و«آيات الأنفس» في تناغمٍ وجمال، لا يجده إلَّا من تذوَّق الأسلوب والمعنى.

- ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: الله تعالى عليم بما خفي في الليل والنهار، وهو عليم بأخفى الخفايا، أي ما يختلج في الصدور من نوايا وأفكار، ومن حبٍّ وبغض، ومن خِلال وأخلاق، ومن أسرارٍ وآمال وآلام... سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

- في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿قُلِ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ فبدأ بالأنفس ثم استدلَّ عليها بعلم ما في الآفاق. وفي الآيات الأولى من سورة الحديد بدأ بالآفاق ثم ثنى بالأنفس، وفي هذا من البلاغة وتصريف الدليل ما لا يخفى.

- ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، والدليل هو اللحاق ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ فما يعمله الإنسان هو ثمرة ونتيجة لما يحويه صدره من أفكار وآراء، وقناعات ونوايا، وصفاء قلبٍ أو رينه. وصدق

من قال: إنَّ العقل هو آلة تقدير وحساب، أمَّا الاختيار والقرار فمحلُّه ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾. وتبقى المسألة للبحث، بخاصَّة وأنَّ الله تعالى نسب الكذب والخطيئة للناصية، وهي في المخ؟ فكيف نفكُّ التعارض الظاهر؟ للبحث.

التشغيل والتفعيل

- تأمُّل ظاهرة الليل والنهار عبادةٌ وطاعةٌ، بخاصَّة إذا اقترنت بالذكر والشكر، في إيقاع زمنيٍّ محكَمٍ بين حركة الأفلاك، وحركة العقول، وحركة القلوب، وحركة الجوارح؛ فلا تكن أيها الإنسان نشازًا في هذا الكون، ولا تكن نغمة طائشة في سمفونية الوجود.
- ما دام الله تعالى مطَّلع على خفايا الصدور، وعلى نوايا القلوب والجوارح ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾؛ فعلى المرء أن يحسِّن القلبَ لأنه محلُّ نظر الله تعالى، وفي الحديث الشريف: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».
- سلامةُ القلب مقصد الإنسان من جميع عباداته وطاعاته، ومن أجمل الدعاء: «اللهمَّ ارزقنا سلامة قلب لا تزول

أبدًا، ونورَ بصيرة لا يخطئ أبدًا، وزيادةَ إيمان لا يفتر أبدًا، وسعادةً في الدنيا والآخرة، وخاتمةً كفؤها الجنة».

- الاهتمام بعلوم «الزمن والوقت» يوسِّع أفق المرء، ويُفهمه عظمة الخالق سبحانه، ومن هذه العلوم: علم الميقات، علم التحقيب، علم الساعات، علم فلسفة الزمن، علم إدارة الوقت، علم البرمجة الزمنية، علم اجتماع الفراغ، علم اقتصاد الوقت...
- كلمَّا قرِن «علم الله تعالى» بـ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ في القرآن الكريم، جاءت على صيغة: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. ونستفيد من ذلك أنَّ ذات المرء هو ما في صدره، أي إنَّ شخصيته تتحدَّد بما في قلبه، لا بما في عقله؛ وهو محاسب يوم القيامة بما في صدره لا بما في عقله، ولا بما في جوارحه؛ ومن نعمة الله تعالى أنه لا يحاسبنا بما في عقولنا من معلومات ومعارف، ولا بما في حواسنا من إمكانات ومهارات؛ ولكنه يحاسبنا بما في صدورنا من نوايا وخيارات. سبحانه.

من الفكر إلى الفعل

- تأمُّل ظاهرة «الليل والنهار» عبادةٌ عظيمة، بخاصَّة إذا اقترنت بالذكر لله سبحانه.
- على المرء أن يحسِّن القلبَ لأنه محلُّ نظر الله تعالى.
- سلامة القلب مقصد الإنسان في عبادته، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (88) إِلَّا مَنَ اَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.
- لندعُ الله تعالى بقولنا: «اللهم ارزقنا سلامة القلب، وإخلاص النية، ويقظة الضمير، وصفاء الذهن، ورجاحة العقل، وحلاوة اللسان».
- الاهتمام بعلوم «الزمن والوقت» يوسِّع أفق المرء، ويُفهمه عظمة الخالق سبحانه.
- المنهج العلميُّ التوحيديُّ يجمع بين «آيات الآفاق» و«آيات الأنفس»، ولا يفصل بينهما.
- للقراءة: «**نثار الأزهار في الليل والنهار**» لابن منظور. ومؤلفات جودت سعيد التي تعالج مشكلة التغيير، من منطلق ﴿حتّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

قال الله تعالى:

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

بذور المعنى

- ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا﴾: الإيمان شرطٌ للإنفاق، فمَن آمن أنفق، ومن لم يؤمن تعلَّق بما يملك، وشحَّ واستأثر به دون غيره، ثم لم يُنفق؛ وإذا نفع بماله أحدا ففي حدود التعاقد والمصلحة، لا طلبا للأجر والمثوبة عند الله تعالى.
- ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: المستخلَف مستأمَن على ما استُخلف فيه، فالمال ليس مالُكَ، وإنما هو لله بيدك؛ وصاحبه الحقيق «الله تعالى»، هو الذي يرزقك من لدنه، ويصوغ لك قانون استعماله،

ويسطِّر لك شروط التصرُّف فيه.

- والإنسان خليفةُ الله في أرضه، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ فالخليفة في الأرض، والمستخلَف في مقدَّراتها وأموالها، هو المكلَّف بالتصرُّف فيها مخيَّرا، وهو كالنائب والوكيل؛ ولو شاء الله تعالى لقهَر عباده، ولكنه - رحمةً منه وفضلًا - أطلق لهم حريتهم، ورسم لهم المنهجَ، وبين لهم الخير من الشر، الحقَّ من الباطل؛ ثم وعدهم بالجزاء والحساب بعد الموت: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنَ اَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.
- ومن معاني ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ خلافُتهم لمن سبقهم من الأمم والأجيال المتعاقبة، وفي هذا تلويح أنَّ المال لا يدوم بأيديهم، وأنه لو دام لغيرهم لما وصل إليهم؛ وفيه حضٌّ على الإنفاق مما أصله أن ينفُق ولا يبقى.
- ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: لا يستقيم الإيمان إلَّا بالعمل الصالح، ولا يكون العمل صالحا إلَّا بالإيمان. وذلك معنى «الفاء» التي هي للتفريع بمعنى أنَّ سبب الإنفاق هو الإيمان.
- لو قال تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ لكفى، ولكن إتباعه بوصف ﴿كَبِيرٌ﴾ فيه تشويق، ومزيد إنعام

منه سبحانه. فما الحدُّ الفاصل بين «الأجر» في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ و﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الوارد في هذه الآية الكريمة؟ ويقينُنا أنَّه لا صغير فيما نسب إلى الله سبحانه، وكلُّ ما كان مضافا ومنسوبا إليه عَزَّوَجَلَّ فهو كبير وعظيم.

- ذكر بعض المفسرين أنَّ الإنفاق في الآية بمعنى الزكاة المشروعة، وقال آخرون يدخل فيه الصدقة والتطوعُ؛ والصيغة دالة على أنَّ المعنى شامل لجميع صنوف البر، وهذا ما تفيده «مما» من عمومٍ، أي «جميع ما» استخلفتم فيه، من مال وسلطة، وعلم وحكمة... وغيرها.

التشغيل والتفعيل

- من معاني الآية «صدِّقوا وتصدَّقوا»: صدِّقوا بالله ورسوله، وبما جاء من الله ورسوله، تصديقَ عمل ووفاء، لا تصديق ترديد وجفاء؛ وثمرة ذلك التصديق أن تتصدَّقوا بما آتاكم الله من مال ورزق وجهد، سواء في ذلك أكان قليلا أم كثيرا.
- المال مقوِّم من مقوِّمات الحياة، لا تقوم إلَّا به؛ ولذا كان الإنفاق عونًا على الحركة النافعة في الحياة؛ وكان

العَوز معرقلا للعمل وللعبادة؛ ومن أحبِّ الأعمال إلى الله الصدقةُ، ونفع الخلق؛ ذلك أنَّها تنشِّط الضعيف، وتحثه على العبادة وعمارة الأرض.

- إذا استحضر الإنسان الأبعاد الإيمانية للآيات السابقة حسُن إيمانه، فكان له سببا للعمل الصالح، ومن ذلك: أنَّ الملْك كلَّه لله، وأنَّ الله ﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾، ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾... وغيرها من المقدِّمات التي ينبغي أن ترسخ في قلوب الناس حتى يكونوا مؤمنين حقَّ الإيمان. وعلمُ التوحيد ينبغي أن ينحو هذا النحو الإيمانيَّ العمليَّ، لا أن يتلهَّى بالجدل بعيدا عن حركة الحياة.
- يُفتن الكثير من المسلمين اليومَ بالعوز، وبالحاجة إلى الكافر؛ بخاصَّة حين يتقاعس المجتمع المسلم عن إشاعة الصدقة بكلِّ أنواعها، وحين يبخل الغني المسلم بما عنده؛ فيتخذ الكفارُ ذلك ذريعة لدفع الناس إلى الشكِّ في نجاعة دينهم، وإلى الإلحاد والشرك أحيانا.

من الفكر إلى الفعل

- الإيمان شرط للإنفاق، فمن آمن أنفق، ومن لم يؤمن تعلَّق بما يملك.
- اقرن إيمانك بالعمل الصالح، واقرن عملك بنية خالصة مخلصة لله سبحانه.
- المستخلَف مستأمَن على ما استُخلف فيه، فكن أمينا على رزقك، وولدك، وصحتك... وجميع نعم الله عليك.
- الغاية من جمع المال: العونُ على الحركة النافعة للحياة.
- صدِّقوا وتصدَّقوا: صدِّقوا بالله ورسوله، وتصدَّقوا بما رزقكم الله.
- «**علم التوحيد**» ينبغي أن يفعِّل الجانب الإيمانيَّ العمليَّ، لا أن يتلهَّى بالجدل بعيدا عن حركة الحياة
- العوز والفقر فتنة للمسلمين، فمن رفعهما عن مسلم كان له أجر كبير عند الله تعالى.
- للقراءة: «**المسلم في عالم الاقتصاد**» لمالك بن نبي. بحث «**الإنفاق ونظائره في القرآن الكريم**» لعبد الله أبو تيلخ، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾

بذور المعنى

- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: عجبٌ ومنكرٌ أنكم لا تؤمنون بالله، وتخونون ميثاق رسولكم، وأنتم تدَّعون الإيمان بلسانكم؛ فالمراد بالإيمان ما ترتب عليه أثر من عمل صالح، ومنه الإنفاق في سبيل؛ أمَّا مجرَّد الانتماء فلا اعتبار له في حركية الحق وهو يواجه طغيان الباطل.
- ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾: الرسول ﷺ دعا قومه حين كان بينهم، وهو لا يزال يدعونا للإيمان، من خلال كلام الله تعالى، ومن خلال سيرته، وحديثه، وذِكره، وأثره... فكلُّ ذلك حيٌّ

بيننا؛ فإن يكن الرسول ﷺ قد مات، فإنَّ حقيقته ومعناه لم يمت، ولن يموت أبدا.

- في سورة الأعراف دعوة صريحة من الرسول ﷺ للناس جميعا، أن يؤمنوا بربهم؛ ومن بين بنود هذه الدعوة، التي لا تدَع مجالا للشك والريبة، إلَّا لمن أصرَّ واستكبر: ﴿قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ثم يأتي الميثاق الغليظ بين الله تعالى وعباده في حقِّ رسوله: ﴿فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيءِ الأُمِّيِّ الَّذِي يُومِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.
- الربُّ من أسماء الله تعالى، وهو الخالق والمالك والسيِّد والمربي والصاحب، ولا يُقالُ «الربُّ» في غير الله إلَّا بالإضافة، كأن يقال: «ربُّ البيت».
- ﴿وَقَدَ اَخَذَ مِيثَاقَكُمُ إِن كُنتُم مُومِنِينَ﴾: الإيمان عهدٌ قديم أقررتم به، يوم كنتم «في مرحلة الذرِّ»، يوم سألكم ربكم: «ألستُ بربِّكم»؟ فأجبتم: «بلى». فلِمَ تنكرون هذا الميثاق اليومَ؟ أليس هذا منكر وظلم كبير؟
- الضمير لفعل أخذ قد يكون لله تعالى، وقد يكون لرسوله ﷺ، ولكنَّ الثمرة واحدة، وهو ذات الميثاق: الشهادة على وحدانية الله تعالى، ورسالة رسوله ﷺ، والالتزامُ بما شهدوا به سمعًا وطاعةً، قولًا

وعملًا، سرًّا وعلنًا.

- أُخِذ على المؤمنين الميثاق من وجهين: عقليٍّ وسمعيٍّ؛ أمَّا العقليُّ فبما نصب لهم من أدلَّة وبراهين وحجج موجبة قبول ما جاءهم به الرسل؛ وأمَّا السمعيُّ فبما نزل من كتبٍ، ورسالات، وأحكام، ودعوات من الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

التشغيل والتفعيل

- التنكُّر للرسول ﷺ، ولدعوته، حتى ولو تحت مسمَّى «القرآن وكفى»، هو تنكُّر للقرآن نفسه، ولأوامره ونواهيه؛ كيف لا وهو يأمرنا بأن نستجيب للرسول، ونوفي بميثاقه الذي أخذه علينا.
- لا فصل بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول؛ فمن آمن بالله آمن برسوله ضرورةً، ومن آمن بالرسول آمن بالله ضرورةً؛ فلنصل ما وصل الله، ولا نقطع ما أمر الله به أن يوصل: الله تعالى، ورسوله ﷺ.
- من الميثاق الذي أخذ منَّا في «مرحلة الذرِّ» نشأت الفطرةُ، والضميرُ، والنفس اللوامة، والوازع الإيمانيُّ، والنزوع إلى الخير... ومن ثم كان كلُّ عصيان انحرافا عن هذا الخطِّ المستقيم، ونقضا للعهد وللميثاق.

من الفكر إلى الفعل

- الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعونا للإيمان بربِّنا، فلنؤمن به حقَّ الإيمان، إذا رُمنا نجاة عند الله سبحانه.
- سألَنا ربُّنا يوم كنَّا في «مرحلة الذرِّ»: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ فأجبنا: ﴿بَلَىٰ﴾. فلنكن أوفياء بميثاقنا.
- عطاء الربوبية حيثية لقبول عطاء الألوهية.
- حقيقة رسول الله ﷺ ومعناه، ودعوتُه لا تزال حيَّة في قلوبنا: مات عَلَيْهِ السَّلَامُ جسَدا، ولم يمت معنى وحُكما.
- لا فصل بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول.
- الفطرة، والضمير، والنفس اللوامة، والوازع الإيماني، والنزوع إلى الخير... جميعُها واردات تدعونا إلى الطاعة، وتنفِّرنا من المعصية. فلنستمع إليها بوعيٍ.
- طالع: «**رسالة التوحيد**» للإمام محمد عبده. بخاصة فصول حول «**الرسالة والرسل**».

قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾

بذور المعنى

- ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: عموم مصطلح الآيات ثلاثةُ أصنافٍ، كما جاءت في كلام الله تعالى: كونيةٌ كالشمس والقمر؛ ومعجزاتٌ تصاحب الرسل ليؤمن الناس؛ وآياتُ القرآن الكريم، وهي حاملة المنهج والأحكام التي تنظم حركة الحياة، بما يبلِّغ الناس رضا الله تعالى.
- والله تعالى يمنُّ على عباده أن أرسل إليهم رسولًا، ونزَّل على رسوله آياتٍ واضحاتٍ بيناتٍ؛ والبيِّنة هي الحجة الواضحة، والبرهان الساطع، والدليل

الموثوق؛ بحيث لا يردُّها ولا يكفر بها إلَّا مُكابر جاحدٌ.

- ولقد أخبر تعالى عن جميع الرسل فقال: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِالۡبَيِّنَاتِ﴾، وذكر عن موسى وعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنهما جاءا بالبينات، ونوَّه بما جاء في الزُّبر من بيِّنات. ومحمد ﷺ إنما جاء بالبيِّنات مصدقا لما بين يديه من الكتب، خاتما للرسل جميعهم، معه الحجة والبرهان للناس أجمعين إلى يوم الدين.
- ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: ليست آيات الله تعالى معارف جافَّة، ولا هي معلومات محايدة، فلم تنزل ليُحتفى بها ويحتفل، ولا ليُتغنى بها وتكرَّر؛ وإنما نزلت من اللوح المحفوظ لتحرِّك العقولَ نحو الحقِّ، وتنشِّط القلوب وجهة الخير، وتفعِّل الجوارح للسعي بين مساحات النور.
- والقرآن الكريم نورٌ، ورسول الله ﷺ نورٌ، وما جاء به من الحق نورٌ، والعلم الذي بسطه نورٌ: ﴿نُورٍ يَهۡدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنۡ يَّشَآءُ﴾.
- ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم، حيث دعاكم لما يحييكم، ولم يقتصر على نصب الأدلَّة والحجج العقلية. ومعنى الرأفة

بأحدٍ أن تزيل الألم والشقاء عنه؛ والرحمةُ أن تصونه من الداء والألم قبل أن يصيبه.

- الله تعالى يريكم الآيات البيِّنات الواضحات رحمةً منه، ليُخرجكم من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الشكِّ إلى نور اليقين؛ فهلَّا سمعتم ووعيتم، وهلَّا آمنتم إيمانا صادقًا، وعملتم عملا صالحا؟

التشغيل والتفعيل

- ضمير لفظ الجلالة ﴿هُوَ﴾ ورد ثماني مرَّات من أوَّل السورة إلى هذه الآية، ثم لم يرد ولو مرَّة واحدة إلى آخر السورة، ولكنَّ لفظ الجلالة ﴿الله﴾ كان بديلا عن الضمير ﴿هُوَ﴾ في جميع الآيات التالية، بخاصة في الفواصل. وهذا الانتقال يحتاج إلى جهد لاكتشاف الحكمة منه. وكأنَّ الآيات الأولى كانت تخاطب الشاكَّ، والتي بعدها تخاطب الموقن في عمومها. والله سبحانه أعلم وأحكم.
- رحمة الله ورأفته بنا توجب علينا أن نرحم خلقه ونرأف بهم؛ ولذا قال الرسول ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

- الذين اشتغلوا بـ«علم الآيات» - المسطورة أو المنظورة - ثم لم ينفعهم علمهم؛ وبقيت ظلمات الشكِّ والجحود تنخر ضمائرهم، وتشوه فكرهم؛ إنما سبب ذلك أنهم لم يحسِّنوا نواياهم، ولم يُقبلوا على كلام الله تعالى من مقام الاستسلام، ولم يسبَحوا في كون الله من مقام العجز؛ فلم ينفعهم علمهم ولا إيمانهم.
- كلُّ ما هو كفرٌ أو شركٌ، أو ظلمٌ أو نفاقٌ، هو من الظلمات التي تغمر صاحبها بالشقاء في الدنيا، وبالعذاب الشديد يوم القيامة؛ أمَّا ما كان إيمانا وطاعة، وعلمًا نافعا، وعملا صالحا، ووحيا منزَّلا؛ فهو نور، بل هو ﴿النُّور﴾ لا غيره: ﴿فَئَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.
- «يريد الله للقرآن أن يكون شمسًا فكريةً، وروحية، وشعورية في حياة الإنسان المعنوية، والحركية؛ تماما كما الشمس التي تضيء للكون كهوفه، وزواياه، ودروبه؛ لتقتحم كلَّ ظلام الليل» (فضل الله).

من الفكر إلى الفعل

- رحمة الله ورأفته بنا توجبُ علينا أن نرحم خلقه ونرأف بهم: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».
- الله سبحانه وتعالى «رءوفٌ» بكم «رحيمٌ» بكم، حيث دعاكم لما يحييكم؛ فلتجيبوا الداعي وقد دعاكم.
- لنحرص على العمل بالآيات المحكَمات، ولنحذر اتِّباع المتشابهات، بقصد الفتنة والجدل.
- أنزل القرآن الكريم ليُخرجنا من الظلمات إلى النور، وكلُّ مانع من فعاليته هو معصية وخروج عن السبيل.
- لا بد للعاملين في حقل التربية أن يحركوا القرآن الكريم بطريقة تجعل منه حالة إشراقية في عقل المتلقي ووجدانه.
- موانع تفعيل الوحي كثيرة، منها ما هو داخليٌّ وهو الأخطر، ومنها ما هو خارجيٌّ؛ فلنتجنبها.
- للقراءة: «**كيف نتعامل مع القرآن**» لمحمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. و«**في حب كلام الله**» لمحمد باباعمي.

قال الله تعالى:

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

بذور المعنى

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عودٌ إلى الإنفاق، بدليل مغايرٍ، وأسلوبٍ مختلف، مع مؤدًّى واحد؛ وهو أنَّ الملك ملك الله، له ميراث السموات والأرض، استخلف الإنسان فيه؛ ثم أمره أن يُنفق منه، وأخذ منه ميثاقا أن يستجيب؛ ولكنه خان العهد، وبخل بما آتاه الله، إلَّا من آمن وحسُن إيمانه.

- ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ بالمعنى الفقهيِّ هو ما يُصرف من زكاة للجهاد، غير أنَّ هذا المفهوم لم يستقرَّ إلَّا بعد الهجرة، وإن كانت هذه الآيات مكية، ناسب أن يكون بمعنى الصدقة ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ على العموم.
- الميراث والتراث هو المال الذي ينتقل من الميت إلى من يبقى بعده. و﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، له معنيان: أنه سبحانه هو المالك الحقيق لما في السماوات والارض، وهو الذي يملِّككم ما يشاء منه ويورِّثكم. والمعنى الثاني، أنَّ جميع الناس يَفنى، ولا يبقى الملك على الحقيقة إلا لله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.
- وكِلا المعنيين فيهما توبيخٌ للذين لا يُنفقون، أنهم لم يدركوا حقيقة الملك المطلق والباقي، فتصرفوا وكأنَّهم خالدون، وكأنَّ الملك لم يأتهم من الله، وليس آيل إليه وحده.
- ما في أيدي الناس لا يلبث أن يزول ويحول: يزول منهم، فيتركهم أو يتركونه؛ ثم يحول إلى غيرهم بالميراث، أو بأيِّ صيغة من صيغ انتقال الملكية

والثروة.

- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾: من أنفق قبل فتح مكَّة، وقبل الحديبية، أي قبل أن يتيقن النصر؛ له أجرٌ عند الله أكثر ممن أنفق بعد النصر والفتح؛ ولكنَّ الله وعد الجميع بالقبول والأجر الحسن.
- والآية عامَّة لكل إنفاق يتمُّ قبل تحقُّق النصر، فهو دائما أعظمُ أجرا، من الإنفاق الذي يكون بعد تحقَّق النصر؛ وكذا في المشاريع الخيرية ثمة من ينفق قبل أن تقوم على ساقها، وثمة من ينفق بعد أن يتأكد الناسُ من جدواها، ويُقبلوا عليها؛ فليس الفريقان سواء في الأجر والفضل والمعنى.
- ذكرت المصادر أنَّ الآية نزلت في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحين نزلت قال رسول الله ﷺ: «**أنفق ماله عليَّ قبل الفتح**». ولفضل الصحابة الذي نصروا رسول الله ﷺ قبل أن يظهر على الكفار، وقبل فتح مكة، قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق**

مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه».

- ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾: كلا الفريقين، ممن أنفق من قبل الفتح، ومن أنفق بعد الفتح؛ وعده الله المثوبة الحسنى، وهي الجنة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾. وإنما تكون الأفضلية بين الفريقين في الدرجات: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

- ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عالم بمن أنفق، وبما أنفق، وكيف أنفق، وبالتفاصيل والجزئيات، وبنوايا المنفقين، وبما تخفي صدورهم، وبما تظهره أقوالهم وأفعالهم؛ فلا تخفى عليه منكم خافيةٌ، وتفضيله بعضًا على آخرين إنما هو عن خبرةٍ وعلم مطلقٍ، لا ظلم فيه ولا خطأ.

- ويقينُ المسلم أنَّ الله بما يعمل خبيرٌ يدفعه إلى تحسين عمله، لأنَّ «المفتِّش خبير»، ولأنَّ من تُردُّ إليه أعمال العباد ﴿خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

التشغيل والتفعيل

- كلَّما كانت حاجة الناس أكثر كان الإنفاق أكثر أجرًا؛ وكلَّما عمَّ الرخاء وقلَّت الحاجة، قلَّ الأجرُ ونقص؛ ولكن الله سبحانه لا يحرم المنفق في كلا الحالين من الحسنى. ولا يخلو زمان ولا مكان من فرصٍ ونفحاتٍ يتصيدها الموفَّقون: «**إنَّ لربِّكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها**».
- الإنفاق على أيِّ فكرة أو مشروع خيريٍّ قبل أن يشتهر ويكثر رواده، من أعظم أنواع الجهاد اليوم؛ وسواء في ذلك الإنفاق بالنفس أو المال؛ سيان.
- ليس للناس أن يصنِّفوا الآخرين من حيث القبول عند الله، ذلك أنَّ الأمر متعلق بالقلب، والله سبحانه وحده خبير بخفايا أنفس الناس.
- للقتال حكم الإنفاق، حين يكون لنصرة دين الله؛ فالذي يقاتل وقت الشدَّة، له الأجر كلُّه؛ ولذا كان لأهل بدر ما لم يكن لغيرهم من فضل، ومن أجر عند الله، قال رسول الله ﷺ: «**ومن يدريك لعل الله اطلع على قلوب أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم، فإني قد غفرت لكم**».
- تؤخذ شرعية التنافس والمسارعة في الخيرات من هذه الآية الكريمة، كما أنه في الإمكان أن تنتهي المنافسة

بصيغة «رابح/ رابح»، وليس بالضرورة على شاكلة «رابح/ خاسر»، كما في بعض أساليب المنافسة اليوم، حيث ربحك قائم على خسارة غيرك ضرورة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

من الفكر إلى الفعل

- ما دام الميراث لله سبحانه، وما دام الملكُ زائل عن العبد؛ فلينفقه في سبيل الله لينال الحسنى.
- كلَّما كانت حاجة الناس أكثر كان الإنفاق أكثر أجرًا ومثوبة ودرجة.
- الإنفاق قبل الفتح (أي قبل تحقق النتيجة) أكثر أجرا من الإنفاق بعده.
- الحكيم مَن وطَّن نفسه على الإنفاق أوان البذر والسقي؛ فينال أجر الزرع والحصد، والشجر والثمر
- ليس لأحد أن يحدِّد قبول الله أو عدم القبول في حقِّ أحد.
- تؤخذ شرعية التنافس والمسارعة في الخيرات من الآية الكريمة.
- للقراءة: «**فضل الصحابة والرضا عنهم**» لإبراهيم بيوض. مقال: «**نظرية العرض والتكليف، فتح منهجيٌّ في حقل السيرة النبوية**» لمحمد باباعمي.

قال الله تعالى:

مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿11﴾

بذور المعنى

- ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: مِن معاني القرض ما تعطيه غيرَك من مالٍ على أن يرُدَّه إليك؛ أو ما أَسلفَ الإنسانُ من إساءَة وإحسانٍ؛ أو ما يُقَدَّمُ من عملٍ يُلتمس عليه الجزاء. وأصل مادة (ق.ر.ض) قطَعَ، ويقال قرض الخبز أي قطعه. فالقرض هو قطعٌ مِن مال صاحبه مع ضمان الردِّ.
- ولم يُذكر القرض في القرآن الكريم إلَّا موصوفا بالحسن ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾، ومن ذلك: ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، ﴿إِن تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ

لَكُمْ﴾. قال الأخفش: ليس هذا مثل الاستقراض من الحاجة، ولكنه مثل قول العرب: «لي عندك قرضُ صدقٍ، وقرض سوءٍ» إذا فعل به خيرًا، أو شرًّا.

- والقرض الحسن نوعان: ما تدفعه من مال الله تعالى، صدقةً دون أن تسترجعه، وإنما تنتظر الأجر والمثوبة والإخلاف من عند الله تعالى وحده، وهو المعنى المقصود في هذه الآية. وأمَّا النوع الثاني، فهو في المعاملات: «ما تعطيه غيرك من مال على أن يردَّه إليك»، إمَّا بالمثل كما في بعض المذاهب، أو بالمثل وبالقيمة والبدل كما في مذاهب أخرى.
- ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: المضاعَفة من ضاعف العددَ إذا جعله مِثلين أو أكثر، أي هي الزيادة على الأصل؛ ويقال «ضاعف أرباحه» إذا زاد منها، ونمَّاها، وأضاف إليها ربحا على ربح.
- ومضاعفةُ الله تعالى للعبد تفضُّلٌ منه لا استحقاقٌ، ذلك أنَّ الملك المطلق لهُ وحده: فالمتصدِّق، وأصل صدقته، والأجرُ المضاعَف، كلُّ ذلك لله سبحانه؛ ولذا وصف أجره أنه ﴿كَرِيمٌ﴾، وهو الثواب الدنيويُّ والأخرويُّ. ومن أكرم من الله سبحانه.

- الكريم اسم من أسماء الله الحسنى، واتصافه سبحانه بـ﴿الاَكْرَمُ﴾، لا على سبيل المفاضلة، فلا أحد يقارَن به سبحانه، فلا تفاضل بينه وبين خلقه؛ قال جل من قائل: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَكْرَمُ﴾.
- لو أقرضتَ غنيا كريما فإنَّ جزاءه سيكون مضاعَفا، فما بالك لو أقرضت ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، الذي يضاعِف للمقرض، ويؤتيه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، و﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾؛ ولا يَتصوُّر العقل مقدار هذا الأجر الموصوف بـ«العظيم» وبـ﴿الْكَرِيمِ﴾، ويكفي أن ينسب إلى الله سبحانه، وأن يوصف بأنه ﴿عَظِيمٌ﴾ و﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

التشغيل والتفعيل

- لو تأمَّلت حركة توزيع الثروات والموارد تجد أنَّ الله تعالى وفَّر لخلقه ما يُغنيهم جميعا، ولذا جعل في مال الغني ما يسع الفقير، ولا يخدش كرامته، فجعله «حقًّا معلومًا».
- إذا اختلَّ التوازن، وتباينت الطبقات الاجتماعية، واتسع الفارق بين الغني والفقير، فلا بدَّ أن يكون ثمة انحراف: إمَّا في بخل الغني، أو في احتيال الفقير، أو في جور النظام، أو في انتشار المال الحرام.

- ما زاد على الزكاة من الإحسان في الإنفاق سماه الشرع ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾، والقرض الحسن يشترط فيه أن يكون من مالٍ حلال، وأن يكون من طِيب نفسٍ، وأن لا يُتبع بمنٍّ ولا أذى.
- في الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «**كان رجلٌ يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه**».
- إقراض المعسر بالصبر له من موجبات الرحمة يوم القيامة، قال ﷺ: «**من أنظر معسرا أو وضع عنه أظلَّه الله في ظله**» وأمَّا في الدنيا فله على كلِّ يوم أجرُ صدقة ذلك المبلغ، ففي الحديث الشريف: «**من أنظر معسرا كان له كلَّ يوم صدقة، ومن أنظره بعد حلِّه كان له مثله في كلِّ يوم صدقة**».
- في تقرير لوكالة الإغاثة الدولية (أوكسفام) دقَّ ناقوس الخطر، ذلك أنَّ ثروة نصف سكان العالم تملكها الآن مجموعة صغيرة من الناس لا تتجاوز عدد ركاب حافلة من طابقين، أي قرابة 58 رجلًا من أغنى أغنياء العالم. وقالت المنظمة في تقرير لها: إنَّ نصف ثروات العالم بيد 1% من سكان العالم» ولا شكَّ أنَّ مفهوم توزيع الثروة بالإحسان، غير وارد في هذا الواقع المرير.

من الفكر إلى الفعل

- مطلق الربح أن تقرض الله قرضا حسنا، وهو مالك الملك سبحانه.
- القرض الحسن يُشترط فيه أن يكون من حلال، مع طِيب نفسٍ، وأن لا يُتبع بمنٍّ ولا أذى.
- العطاء على سبيل الصدقة أو القرض كلاهما فيه أجر كبير عند الله.
- إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنك.
- مَن أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله.
- من أنظر معسرا كان له كلَّ يوم صدقة مقدار ما أقرضه.
- إذا اختلَّ توازن المجتمع، وتباينت الطبقات، فلنعالج: شحَّ الغني، ولؤم الفقير، وجور النظام، ومصدر المال الحرام.
- للقراءة: «**الإنافة فيما جاء في الصدقة والضيافة**» لابن حجر الهيثمي.
- «**بؤس العالم**» في ثلاث مجلدات، لـ«بيار بورديو»: الجزء الأول «**رغبة الإصلاح**»؛ الجزء الثاني «**نهاية عالَم**»؛ الجزء الثالث «**منبوذو العالم**».

قال الله تعالى:

يَوْمَ تَرَى الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿12﴾

بذور المعنى

- ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾: الخطاب للرسول ﷺ تطمينًا له، ولكلِّ مَن هو أهلٌ لأن يَرى ويعتبر؛ والآية وما بعدها تنقلُنا إلى مشهد من مشاهد يوم القيامة، في تقابلٍ بين أهل الإيمان وأهل النفاق: مَن آمن بالله كما أمر، ومن عصى وطغى وتجبَّر؛ فبدأت بالفريق الأول ﴿الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ﴾.
- نور المؤمن يسعى بين يديه وبيمينه؛ له هيبةٌ في قلوب الموافقين له والمخالفين؛ يعظِّمه الموافق،

ويهابه المخالِف؛ وهو بهذا النور يملأ الحياةَ خيرا عميمًا وعملًا صالحا، ونورًا وهدًى وبركةً؛ ثم من ساحةِ الدنيا ينتقل إلى فسحة الآخرة ويحمل معه نورَه، أو يحمله معه نورُه؛ فيتجسَّد النورُ ماديًّا، ويكون علامةً على النور المعنويِّ، فيُرى والنور يتلألأ ويفور ويسعى بين يديه، تستقبله الملائكة وأهل الجنة والسعداء من المؤمنين بالسلام، ثم يُرى والنورُ يسعى بيمينه، وهو موطن استلام كتابه الثقيل بالإيمان والإنفاق، والصالحات والطيبات.

- ورد في مصادر التفسير أثرٌ جاء فيه: «كلُّ مُثاب يحصل له النور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر»، وعن مجاهد: «ما من عبد إلَّا وينادى يوم القيامة: يا فلان ها نورك، ويا فلان لا نور لك». اللهم نجِّنا يا حليم.

- تستدعي الآيةُ - بأسلوبها البديع - الجوارحَ كلَّها، فقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ يستدعي شحذ البصر والبصيرة؛ أمَّا ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فيستدعي إلقاء السمع وفوران القلب؛ لأنه مما يقوله الله تعالى أو الملائكة للمؤمنين والمؤمنات؛ ونكاد اللحظة نرى النور، ونسمع البُشرى؛ وقد تمثلت لنا الآخرةُ عيانًا. ثمَّ

نكمل المشهد بخيالنا، فنطلع على ملامح المسلمين، وفرحهم الذي يندُّ عن الوصف، وهمسهم بالحمد والشكر.

- البشرى هو الخبر السارُّ المفرح الذي لا يعلمه المبشَّر به؛ وكأنَّ النور الذي يحيط بهم من أمام ويمنة يكون علامة على سعادتهم، وحين تراهم الملائكة في تلك الصورة الجميلة البديعة، تبشرهم بالجنات خالدين فيها، وكلُّ مَن يراهم من المؤمنين يعلم أنهم إلى النعيم سائرون، فيبشِّرهم، وتكتمل الفرحة والسعادة حين تأتيهم البشرى من الله الواحد القهار: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ـ امِنِينَ﴾.
- ﴿ذَالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: نجاحٌ لا فشلَ بعده، وخيرٌ لا شرَّ فيه، وفرحٌ لا حزن معه؛ هو فوز أبديٌّ لا يزول ولا ينتهي.
- وقد وصف الفوز في القرآن الكريم بثلاثة أوصاف هي الفوز العظيم، والمبين، والكبير. ولا يخرج معناها من رحمة الله تعالى، ورضوانه، وفضله، والخلود في الجنة، والنجاة من النار. اللهم احشرنا في زمرة الفائزين برضاك، يا رحمن.

التشغيل والتفعيل

- المؤمن حَقَّ الإيمان يستتبع أسباب استكثار النور يوم القيامة، باليقين في إيمانه، وبالاجتهاد في طاعته، وبكثرة الدعاء لله تعالى أن يكثِّر نوره ويكثِّفه.
- يسعى النور بين أيدي المؤمنين وبيمينهم، وليسوا هم الذين يسعون إليه؛ فما الحكمة من هذا المعنى البيانيِّ العميق؟ للبحث.
- في سورة النور قرنت الآيات بين النور والذكر والصلاة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾؛ وفي سورة الحديد جمعت الآيات بين الإنفاق والنور: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ ثم بعدها ثمرةً ونتيجةً لذلك الإنفاق نقرأ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم...﴾. وفي السورتين «الإيمان» هو الشرط الذي إذا زال انتفى النور ضرورةً: فلا نور بلا إيمان، ولا إيمان بلا نور.
- مفاهيم من مثل «الفوز»، و«النجاح»، و«الفلاح»، و«البشرى»، و«السبق»، و«الشهرة»... تشوهت في منظومة القيم، وتحوَّلت إلى رؤية مادية شرِسة؛ فالفائز الناجح هو من استغنى مالًا، وتحكم سلطةً، وتعالى

ذكره شهرةً... ولا بدَّ اليوم أن نحرر هذه المفاهيم من ربقة العبودية لغير الله، إلى فساحة الرؤية الإيمانية التوحيدية الكريمة. وفي هذا أثرٌ خطير على جميع مجالات الحياة، بخاصَّة التربية والتعليم.

- وجه عطف المؤمنات على المؤمنين في الآية، التنبيهُ على أنَّ حظوظ النساء في هذا الدين مساوية لحظوظ الرجال، إلَّا فيما خصِّص به من أحكام قليلة، لها أدلتها الشرعية. وكذا هم متساوون في الأجر والمثوبة؛ وبهذا المعنى يمكن فهم المقارنة بين المرأة والرجل في الإسلام، المقارنة القائمة على العدل، لا على المساواة بمعناها الحداثي المزيل للفروق بين الجنسين.
- لكن، يبقى السؤال في سياقنا: ما الحكمة من تخصيص ﴿الْمُومِنَاتِ﴾ وهنَّ مشمولات في لفظ ﴿الْمُومِنِينَ﴾ في هذه الآية؟ مع أنَّ الإنفاق ليس فيه خصوصية للرجل ولا للمرأة؟
- الإسلام لم يساو بين الرجل والمرأة في الأمور التي لو ساوى بينهما لظُلم أحدهما؛ لأنَّ المساواة في غير مكانها ظلم. أمَّا العدل فهو خير كله، وهو ينافي الظلم بجميع أشكاله ومظاهره.

من الفكر إلى الفعل

- اكتسبْ نورا تمشي به في الدنيا والآخرة: باليقين في الله، وبالاجتهاد في الطاعة، وبكثرة الدعاء لله تعالى أن يكثِّر نورك ويكثِّفه.
- الفوز العظيم الذي يطلبه الحليم: نجاحٌ لا فشل بعده، وخيرٌ لا شرَّ فيه، وفرحٌ لا حزن معه.
- بين الرجل والمرأة مقارنة قائمة على العدل لا على المساواة؛ لأن المساواة العمياء جور وظلم.
- الحذر من دعاوى الجاهلية لمساواة المرأة بالرجل، تلك المساواة التي جعلتها عرضة للهوان، وبضاعة، وهدفا خسيسًا للأراذل والسفهاء.
- الدنيا منبع النور الغزير والآخرة مصبُّه ومستقرُّه؛ قلب المؤمن نبع النور الكريم والعقل مجراه والجوارح وجهه ومحياه.
- للقراءة: «**تفسير سورة النور**» من تفهيم القرآن لأبي الأعلى المودودي. و«**أنوار من سورة النور**» لمحمد ناصر.

قال الله تعالى:

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌۢ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿13﴾

بذور المعنى

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: هذا تمام المشهد يوم القيامة، حيث يُرى المؤمنون ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾، ثم يبشَّرون بالجنات، ويقال لهم ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وبالمقابل يقف الأشقياء المنافقون وقد ميزهم الله تعالى عن جمع المؤمنين: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾؛ يقفون في ظلمة شديدةٍ، فيتوجهون نحو المؤمنين، والراجح أنهم المؤمنون من قومهم

وأهليهم الذين يعرفونهم، ثم يطلبون منهم نورا، هيهات وقد فات الأوان.

- يقول المنافقون للمؤمنين: «انتظرونا نأخذ من نوركم قبسًا، فنحن في ظلمة شديدة»؛ فيجيبونهم - أو يجيبهم الله تعالى، أو الملائكة، على لسانهم - يقولون: «ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور، أي إلى دار العمل، فالتمسوه هناك». والحال أنَّه قد نُصب برزخ وراءهم: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ اِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.
- القبس: الشعلة من النار، و «نقتبس» أي نستصبح، ونأخذ قبسا من النار، أو من النور، أو نستفيد من العلم، أو من الهدى. قال سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأهله: ﴿إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾.
- ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ على سبيل الاستهزاء والتوبيخ والتعيير، أي: ليس هذا أوان طلب النور، وإنما يُطلب يوم أمرتم بطاعة الله، وبلزوم الصراط المستقيم، فعصيتم أمر الله، واستنكفتم.
- ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ۖ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾: ضَرب بمعنى حجزَ المنافقين أن يصِلوا إلى حيث يتنَّعم المؤمنون؛ والسورُ في الآية حاجزٌ بين الجنة والنار، وهو كالحجاب المذكور في سورة الأعراف، غير أنه ليس هو:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾. أمَّا الباب الذي بين الجنة والنار، فهو «باب الرحمة».

- باطن السور وظاهره لا يقاس بالمعايير الهندسية الدنيوية؛ أي كأنَّ المؤمنين داخل مدينة لها سور، وللسور بابٌ موصدٌ، وخارج المدينة المنافقون في عذابٍ؛ ذلك أنَّ الجنة في الآخرة قال عنها تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، والنار لا حدَّ لها ولا آخر زمانًا ولا مكانًا ولا حجمًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.
- الصورة بليغة جدًّا، وهي أنَّ المنافقين كانوا مع المؤمنين في الدنيا، وكان بينهم بابٌ (أي تواصل)، ولكنَّ نفاقهم أبعدهم بسورٍ مضروب بينهم وبين المؤمنين (نفاقهم)، فأوصِد بابُ الرحمة على وجوههم، فبقوا خارج السور (النار) أذلاء مهانين، ودخل المؤمنون السور (الجنة) أعزاء مكرَّمين.

التشغيل والتفعيل

- من المساجد ومن صلاة الجماعة يَغترف المسلم النور ثرًّا غزيرًا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾الآية؛ ثم إذا كان السؤال من أين ننال هذا النور؟ يكون الجواب: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾.

- كلُّ نسَب غير «نسب الإيمان» يزول يوم القيامة؛ والمرء يحشر مع من يحبُّ؛ ولذا فالواجب الحرص على الطاعة، وحمل المحبين من الأهل والأقربين والأصدقاء على الطاعة؛ ليكون اللقاء يوم القيامة ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.
- الحركة في الزمن، والانتقال بين العوالم الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لها سننها التي تسري عليها؛ فكلُّ العقول مجمعة على أنَّ التنقل الخارق للسنن، من مثل العودة إلى الماضي، أو استعجال المستقبل، أو ما يسمَّى السفر في الزمن؛ ما هو إلَّا محض وهم، وضربٌ من «الخيال العلميِّ». فلم يثبت علميا أنَّ أحدا أو شيئا خرق هذا الحاجز البرزخ: حاجز الزمن.
- فيزيائيا يفسَّر الانتقال إلى الماضي أي ﴿ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ﴾، في حالة ما إذا وُجدت جسيمات تفوق سرعتها سرعة الضوء؛ وقد افترض وجودها نظريًّا، وسميت «التكيونات» (tachgons)، غير أنَّه لم تثبت تجريبيا؛ وقد أعلن مركز البحوث الأوروبي «سيرن» عام 2011م عن اكتشاف «النيوترينات»، وقال إنَّها جزئيات أسرع من الضوء، ثم أعلن لاحقا عن تفنيد هذا الزعم.

من الفكر إلى الفعل

- يُطلب النور ليوم القيامة مِن يوم أمرتم بطاعة الله، وبلزوم الصراط المستقيم، فلا تعصوا أمر الله، ولا تستنكفوا عن الحقِّ.
- يَستكثر الكيِّس أسباب النور، ويحرص على اكتسابها حرصه على النجاة عند الله.
- مِن المساجد ومن صلاة الجماعة، ومن بيوت العلم يَغترف المسلم النور الكثير.
- المسلم يحذرُ جميع آيات النفاق الواردة في كتاب الله، وفي سنة النبي الكريم، عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- للقراءة: «**ظاهرة النفاق في الموازين الإسلامية**» لعمرو خليفة النامي.

قال الله تعالى:

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿14﴾

بذور المعنى

- ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾: ينادي المنافقون المؤمنين والمؤمنات، يوم يُضرب بينهم بسور: ألم نكن معكم في الدنيا، نصلِّي ونصوم، ونعيش في صعيد واحد؟
- قالوا: بلى، لقد كنتم معنا؛ ولكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق، ولم تؤمنوا حقَّ الإيمان، فلم ينفعكم إيمانكم يومئذ، ولن ينفعكم اليومَ: «كنتم معنا قوالب لا قلوبا، كنتم معنا نفاقا ورياء وسمعة»، كنتم معنا مذبذبين بين الإيمان والكفر ﴿لَآ إِلَىٰ

هَؤُلآءِ وَلآ إِلَىٰ هَؤُلآءِ﴾.

- ونادى فلان فلانا: دعاه وصاح بأرفع صوت؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَّرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾، وعن منادي الخير وداعي الإيمان قال المؤمنون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنَ ـامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَئَامَنَّا﴾.

- المعية التي ادَّعوها بقولهم ﴿مَّعَكُمْ﴾ هي معيةٌ في الصورة والشكل، وفي المظهر والمقول؛ مِن مثل أنهم قالوا معهم ﴿لآ إِلَهَ إِلّا اللهُ﴾ ولم يؤمنوا بها، وصلوا معهم في المساجد صلاةَ رياء، وخرجوا معهم إلى الجهاد خروج نفاق؛ ولكنهم في الحقيقة والمخبر، وفي النية وما تخفي الصدور، كانوا أعداء لهم، وكانوا ضدَّهم؛ والصور في الآخرة مكمِّلات، وإنما قوامها إخلاص الإيمان.

- ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: فصرفتموها عن الهدى، ولم تستقروا بضمائركم على الإسلام؛ ظلمتم أنفسكم ولم يظلمكم أحدٌ، وخرجتم بصلاتكم عن حقيقة الصلاة التي أمركم الله بها، وكذا فعلتم بإنفاقكم، وبجهادكم؛ فلم تُتقبَّل منكم يومئذ ولن تنفعكم اليوم؛ ذلك أنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. واليوم يقال لكم: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ

تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

- ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: التربص هو الانتظار عمومًا، وهو مع العدوِّ نصب كمين للإيقاع به، ويحمل معنى الخداع والغش، والجبن وخبث السريرة؛ فلم تَقبلوا الحقَّ في أوانِه، بل سوَّفتم بما أمِرتم به، وتربَّصتم بنا الدوائر؛ وانتظرتم أن تحلَّ المصائبُ بالمؤمنين، وأن يذوي هذا الدين، ويموت الرسول ﷺ فتموت معه دعوته. وفيكم قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
- ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: شككتم في صدق الرسول ﷺ، «شكَّ علم» أو «شكَّ عمل»؛ ولم تعزموا أمركم على اتباع ما جاء به الوحي من عند الله تعالى. ومن ذلك أنكم شككتم في الجهاد: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾، ولقد قالوا لإخوانهم الكفار خفيةً: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾.
- ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾: والأماني جمع أمنية وهو اشتهاء ما لا يُتحقَّق، وطلبُ ما لم تتخذ أسبابُه.
- والغُرور هو ما يخدع الإنسان ويغرُّه، وهو انخداع المرء بنفسه، وإعجابه بها، ورضاه عنها، والغُرور

هي الأباطيل، والتكبُّر والاختيال، وهو كلُّ ما يمنِّيهم الشيطان به.

- فإذا جمع الغُرور والأماني جاء الباطل مركَّبا؛ وغرتكم الأماني بأنكم «حتى ولو لم تؤمنوا ستجدون خير العقبى، والفوزَ بالرحمة»، فلم تعملوا بما أمرتم به وهمًا وغرورًا.
- ﴿حَتَّىٰ جَآءَ اَمْرُ اللّٰهِ﴾: بأن نصر اللهُ دينه وهزمكم، أو ﴿حَتَّىٰ جَآءَ اَمْرُ اللّٰهِ﴾ بأن مِتُّم وزال معكم ضرركم.
- وعبارة ﴿حَتَّىٰ جَآءَ اَمْرُ اللّٰهِ﴾ أو ﴿جَآءَ اَمْرُ رَبِّكَ﴾ تكون في القرآن غالبا لحلول العذاب بأهله، وبخاصَّة عذاب الاستئصال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ اَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾. ومجيء أمر الله كذلك هو الموت الذي حلَّ بكم، وأنتم بنفاقكم مغرورون.
- ﴿وَغَرَّكُم بِاللّٰهِ الْغَرُورُ﴾ الغَرور مبالغة في الاتصاف بالغُرور؛ وهو الشيطان الذي يغرُّ الإنسان، سواء أكان شيطانَ إنس، أو شيطان جنٍّ.
- وغرَّ فلانٌ فلانًا معناه خدَعه وأطمعه بالباطل، وهو إظهار الشر على صورة الخير بالتمويه والسفسطة، وليس مثل الشياطين خِداعا، ووسوسة، وتغريرا، وتزيينا للباطل، وإلباسِه لَبوس الحق: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا

يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

التشغيل والتفعيل

- الحذر من النفاق، الذي هو أشدُّ جُرما من الكفر؛ يقي المسلمَ من الغُرور ومن مكائد الغَرور، ويحميه من اتباع الهوى والأوهام؛ والمنافقُ واحدٌ من المسلمين في أحكام الدنيا، لكنَّه يُخفي نوايا خبيثة، ويضمِر شرًّا من وراء أظهُرهم؛ ولذا فمواجهته شاقَّة وصعبة.
- المبادرة إلى اتباع الهدى، والإسراع في الإعراض عن الهوى؛ شأنُ المؤمن الموقِن حقَّ اليقين. وكذلك المبادرةُ بكلِّ عمل فيه الصلاح والخير، مما يرضي الله تعالى، وينفع عياله وعباده؛ قال ﷺ في جوامع الكلم: **«بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلَّا فقرا مُنسيًا، أو غنى مُطغيًا، أو مرضًا مُفسِدًا، أو هرمًا مُفنِدًا، أو موتًا مُجهِزًا، أو الدجَّال؛ فشرُّ غائب يُنتظر، أو الساعة؛ والساعة أدهى وأمرُّ؟»**.
- الحكيم والكيِّس الفطِن هو من حاسب نفسه، وعمل العمل الصالح، والعاجز الغِرُّ هو من غرَّته الأماني؛ قال ﷺ: **«الكيِّس مَن دان نفسَه، وعمِل لما بعد الموت؛ والعاجزُ مَن أتبع نفسه هواها، وتمنَّى علَى الله الأماني»**.

- الاهتزاز الفكريُّ والتذبذب المعرفي سببٌ مباشر للارتياب والتشكيك في الحقِّ؛ وقد عملت نظريات الحداثة، وما بعد الحداثة، في هذا الحقل الملغَّم؛ إضافة إلى كثير من النظريات المؤسَّسة على رؤى كونية متنكِّرة للتوحيد.
- هل يضمن المسلم أن لا ينقلب من صفِّ الإيمان إلى صفِّ النفاق أو الكفران، فيكون مثل هؤلاء غرورا بالأماني؟ لا ريب أنَّ المنافق لا يقول: أنا منافق؛ ولكنه في سريرته، وبأقواله، وأفعاله يتحوَّل من مؤمن إلى منافق؛ فاللهمَّ اعصمنا من النفاق ومن الكفر ومن الشرك، آمين.

من الفكر إلى الفعل

- المؤمن حقًّا لا يفتن نفسه ولا يصرفها عن الهدى، وعن أسباب رضا الله تعالى.
- بادر بقبول الحقِّ وبنصرته، ولا تسوِّف تسويف من شكَّ وتردَّد، وارتاب وتربَّص.
- اعزموا أمركم على اتباع ما جاء به الوحي من عند الله تعالى، واحذروا الشك والارتياب، فإنه مَهلكة لكم دنيا وأخرى..
- «**الكيِّس مَن دان نفسَه، وعمِل لما بعد الموت؛ والعاجزُ مَن أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأماني**».
- اتخذ الشيطانَ عدوًّا لك، ولا تطعه في أمر جلَّ أو صغر.
- النفاق أشدُّ فتكا بالدين من الكفر، فليحذر المسلم أن يقع فيه، ولا أحد في مأمن منه.
- اعمل وفق قول رسولنا الحبيب: «**بادروا بالأعمال سبعًا...**». وانظر ما يتهدَّدك من الصفات بعين التحقيق لا بعين التسويف.
- مواجهة نظريات الإلحاد والتشكيك في الحقِّ معرفيًّا وتربويًّا وفكريًّا، من واجبات كلِّ مثقف مسلم.

قال الله تعالى:

فَالْيَوْمَ لاَ يُؤخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿15﴾

بذور المعنى

- هو إعلان وإعلامٌ من الله تعالى فيه قطعٌ لآمال المنافقين في النجاة، وكذا الكفار؛ فلا أمل يوم الحساب من نجاة مَن لم يؤمن بالله تعالى يومَ كان مخيرا حرًّا.
- ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يجوز أن يكون هذا الكلام تتمة لخطاب المؤمنين الذي خاطبوا به المنافقين؛ ويجوز أن يكون كلامًا من الله تيئيسا للمنافقين من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- الفدية تأتي بمعانٍ منها: ما يقدَّم من مال ونحوه

لتخليص أسيرٍ أو غيره؛ وتأتي بمعنى الكَفَّارة، مما يقدَّم لله جزاءً لتقصيرٍ في عبادة، من صوم وغيره. وهي هنا ما يَفدي به المرءُ نفسه من عذاب الله.

- الفدية لا تكون إلَّا ذات قيمة كبيرة: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنَ اَحَدِهِم مِّلْءُ الاَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾؛ ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ التِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَن فِي الاَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (14) كَلَّآ﴾.
- والفدية لا يقبلها الله تعالى من المنافقين ولا من الذين كفروا؛ أمَّا المؤمنون فعملهم وكسبهم أغناهم عن طلب الفدية؛ فنالوا بذلك رضا الله تعالى ورضوانه، ودخلوا جنته ورحمته.
- ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾: أي مستقرُّكم ومثواكم، والمكان الذي تأوون إليه دون غيره؛ والأسلوب فيه تهكم بهم، وتذكير لهم بشناعة مَا أتوا في الدنيا، من أنهم يأوون إلى شياطينهم ويستنصرونهم، فاليوم مأواهم النار: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا اِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.
- ﴿هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾: أي هذه النار أولى بكم من غيرها؛ أو هي ناصرُكم، من قبيل التهكم بهم: فمن لم

يقبل أن يكون الله تعالى مولاه كانت النار مولاه، والعياذ بالله.

- في كامل القرآن الكريم يقسَّم المصير إلى مصيرين لا ثالث لهما: إمَّا إلى الله تعالى، وجنته ورضاه؛ فنعم المصير؛ وإمَّا إلى النار فساءت مصيرا، وإلى العذاب الأليم ﴿وَبِيسَ الْمَصِيرُ﴾.

التشغيل والتفعيل

- المرء يختار مصيره، أإلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أم إلى النار خالدا فيها أبدا؟ ولا يتحقق الاختيار بالتشدُّق والكلام؛ ولكن بالإيمان، والعمل الصالح، والإحسان.
- مقاييس الآخرة غير مقاييس الدنيا، ففي الدنيا لا أحد يفتدي بأعزِّ الناس إليه، بل قد يضحِّي لأجلهم، ويموت في سبيل نصرتهم؛ أمَّا في الآخرة، فتنقطع الأسباب والأنساب، ويحرص كلٌّ على نجاته هو، حتى ولو افتدى بوالديه، وولده، وأهله، ومن في الأرض جميعا.
- الحرص على أن نكون سببا لنجاة الناس من العذاب الأليم، ومن بئس المصير، هو من أوكد واجبات المؤمن في كل زمان ومكان.

من الفكر إلى الفعل

- من لم يقبل أن يكون الله تعالى مولاه كانت النار مولاه.
- لا يتحقق اختيار المصير بالتشدُّق والكلام؛ ولكن بالإيمان، والعمل الصالح، والإحسان.
- نفتدي ديننا بما نملك من جهد ومال، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم.
- من أحبَّ أحدا دعاه إلى الحقِّ لينجو يوم الفزع الأكبر.
- علَّمنا ربنا أن ندعوه ونقول: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- للقراءة: مبحث «**المداراة والمداهنة**» من كتاب «**بحوث إسلامية**» لمحمد الخضر حسين. و«**ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ**» لعبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني.

قال الله تعالى:

أَلَمْ يَانِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿16﴾

بذور المعنى

- ﴿أَلَمْ يَانِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾: الهمزة للاستفهام يراد به التعجُّب، والحثُّ على المسارعة: ألم يأت أوانُ أن تخشع قلوب المؤمنين؟ ألم يحن الوقت بعدُ؟ كأنهم تأخَّروا وتباطؤوا، فجاءهم التقريع مُدويًّا. والحقُّ أنهم مهما بادروا واستعجلوا، فإنَّ الأمر جللٌ، وهم فيه مفرِّطون، ولا مفرَّ لهم من أن يقول لهم ربهم في كل حين: ألم يان؟.
- تخشع قلوبهم أي تخضع وتسلِّم لله تعالى، وتخشع

لكلامه وتأتمر بما جاء به من أوامر، فتسلِّم لحكم الله تعالى تسليمًا مطلقًا، لا يشوبه شركٌ ولا نفاقٌ، ولا شكٌّ ولا ارتيابٌ.

- الخطاب للذين آمنوا، لا للذين ارتابوا أو نافقوا؛ غير أنهم قصَّروا في أعمالهم؛ فلم يخشعوا الخشوع المطلوب لكلام الله تعالى، ولم يخضعوا الخضوع اللائق به.
- ﴿أَلَمْ يَأْنِ...﴾: هو خطابُ الرحيم لمن يرحم، وخطابُ المحبِّ لمن يحبُّ، وتأنيبُ الحليم لمن يريد أن يهديه.
- عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ هذه الآية قرئت بين يديه، وعنده قومٌ من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديدا، فنظر إليهم فقال: «هكذا كنَّا حتى قست قلوبنا». وذُكر أنَّ الآية نزلت في الصحابة كانوا على خشوع كبير، ثم قدِموا المدينة، فأصابوا لينا من العيش ورفاهية، ففتروا عن بعض ما كانوا فيه من عبادة، فنزلت الآية.
- ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾: قيل «ذكر الله» عامٌّ، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ خاصٌّ بالقرآن الكريم؛ قرأ حفص عن عاصم «نزل» بالتخفيف، وقرأ الباقون «نزِّل» بالتشديد؛ قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ

نَزَل﴾.

- ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾: ﴿وَلا﴾ نافية؛ أي: ألم يأن لهم أن لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب؟. والآية تحذير للمؤمنين أن يسلُكوا سبيل أهل الكتاب في الكفر والضلال، فيصيبهم ما أصابهم من نقمة الله ومن العذاب.
- ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾: ولقد تمادَوا في طغيانهم ونبذهم كتابَهم وراء ظهورهم، وطال الأمد عليهم وهم في تلك الحال، والله تعالى أمهلهم ولم يستعجلهم بالعقاب؛ حتى صار الكفر ديدنهم، فضلُّوا ضلالا بعيدا.
- المدَّة: هو عامٌّ في التعبير عن المبدأ وعن الغاية، ويعبَّر به مجازا عن سائر المدَّة؛ والأمد: منتهى عمر الإنسان. وهو كذلك ابتداءُ خلقه. ولم يرد في القرآن الكريم إلَّا بالمعنى الأول، أي الأجل. وطولُ الأمد هو طول المدَّة والغاية والنهاية.
- ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: هذه الغفلة الطويلة، وهذا الإعراض الممتدُّ زمانا، انتهى بهم إلى قسوة القلوب، وانتفاء الخشوع لذكر الله سبحانه، ولِما نزل عليهم من حق ومن وحي؛ قال تعالى عن بني إسرائيل:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَالِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوَ اَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

- ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: وكثير من أهل الكتاب، هذه حالهم مع ربهم، ومع دينهم، ومع الحقِّ؛ فحَقَّ عليهم وصف الفسق، وصار لازما لهم؛ فهم ﴿فَاسِقُونَ﴾ اعتقادًا، وقولًا، وعملًا ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَومَ الْفَاسِقِينَ﴾.

التشغيل والتفعيل

- صيغة التعجُّب في الآية تجعلها تخترق أسماعنا، وكأنها تتنزل اللحظةَ، وتجعلنا كلَّ حين، وعند كلِّ أوان، ومع كلِّ عمل أو قول نتذكَّرها، وهي تخاطبنا نحن، بالذات، لا غيرَنا ممن سبق.
- هي آية توقد في قلوبنا شعلةَ الإيمان، وتحييها بنور اليقين. فنقول: بلى يا ربنا، خشعنا وخضعنا واستسلمنا، فوفقنا للعمل يا رحمن، وارفع عنَّا سَخطك ومقتك، ولا تحشرنا مع القوم الفاسقين.
- يذكر أنَّ الفضيل بن عياض كان في بداية أمره سارقا وقاطعَ طريق؛ وذات يوم تسوَّر سورا ليسرق، فسمع قارئا يتلو هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَانِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...﴾ فقال: بلى يا ربِّ، آن الأوان. فكانت نقطة انعطافٍ في حياته.

- يقول علي عزت بيجوفيتش في معنى الخشوع والتسليم لله: «لكي ندرك حقيقة وضعنا في هذا العالم يعني أن نستسلم لله، وأن نتنفس السلام، وألَّا يحملنا الوهم على أن نبدِّد جهودنا في الإحاطة بكلِّ شيء والتغلُّب عليه. علينا أن نتقبل المكان والزمان اللذيْن أحاطا بميلادنا، فالزمان والمكان قدر الله وإرادته. إنَّ التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حلَّ لها ولا معنى... إنه طريقٌ للخروج بدون تمرُّد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار. إنه شعور بطولي (لا شعور بطلٍ)، بل شعور إنسان عاديٍّ قام بأداء واجبه وتقبَّل قدره».

- موجب القسوة انحراف القلب عن مراقبة الربِّ، ويقال: موجب القسوة أوله خطْرة، فإن لم تُتدارك صارت فكرةً، فإن لم تُتدارك صارت عزيمة، فإن لم تتدارك جرت المخالفة، فإن لم تتدارك بالتلافي صارت قسوةً، وبعدئذ تصير طبعا وريْنا.

- قال رسول الله ﷺ: «**خذوا العلم قبل أن يذهب**» قالوا: «وكيف يذهب العلم يا نبي الله، وفينا كتاب الله؟» قال: فغضب، ثم قال: «**ثكلتكم أمهاتكم، أولم تكن التوراة**

والإنجيل في بني إسرائيل، فلم يُغنيا عنهم شيئا؟ إنَّ ذهاب العلم أن يذهب حملته، إنَّ ذهاب العلم أن يذهب حملته». لكأنَّ هذا الحديث شرح للآية.

من الفكر إلى الفعل

- الاستفهام التعجبي من الله ﴿أَلَمْ يَأنِ...﴾ موجَّه إلينا، نحن المؤمنين؛ فلتخشع قلوبنا لذكر الله، ولنستسلم للحق سبحانه.
- هي آية تحيي في قلوبنا شعلة الإيمان، تحييها بنور اليقين.
- نقول بلسان الحال ولسان المقال: «بلى، يا ربنا، آن الأوان» شأن الفضيل بن عياض.
- أن نستسلم لله، وأن نتنفس السلام، هذا شعور بطوليٌّ.
- موجب القسوة انحراف القلب عن مراقبة الربِّ، وتأتي على مراحل، فلنتداركها.
- خذوا العلم قبل أن يذهب، وذهابه أن يذهب حملته.
- للقراءة: «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» للقاضي عياض.

قال الله تعالى:

اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿17﴾

بذور المعنى

- أوَّل الآية أمرٌ بالعلم، وآخرها حثٌّ على التعقل؛ والعلم والعقل متلازمان تلازمُ السبب والمسَّبب.
- ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: كما يحيي الله تعالى الأرض بعد موتها، فإنه سبحانه يحيي القلوب بعد موتها؛ هذه من تلك، وهذه كتلك؛ وهو كذلك سبحانه يميت الأرض والقلوب بعد حياةٍ.
- الشبه بين القلوب والأرض ومكوناتها من حجرٍ وتربة وماء، هو شبه كبير وواضح للعيان، وقد

بينه القرآن بصور جمالية كثيرة، منها هذه الآية، ومنها قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾.

- ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ذكر الله تعالى من قبلُ أنه ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، ولمزيد البيان، قال تعالى في إنَّ هذه الآيات إنما تنفع من كان عاقلا، ومن لم يعطل عقله عن الحق وعن الحجة؛ أمَّا من لا يعقل فلا يعتدُّ به.
- يؤكد أبو حامد الغزالي على البعد العملي للعقل، ويقول: «قد يُطلق العقل على مَن جمع العمل إلى العلم، حتى إنَّ المفسد، وإن كان في غاية الكياسة، يُمنع من تسميته عاقلا» وهو من معاني ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في هذه الآية.

التشغيل والتفعيل

- مَن سلَّم لله تعالى في أمره، وعلم أن لا إرادة تعلو إرادته، وأنَّ كلَّ إرادة مهما كان شأنها هي تبعٌ لإرادته سبحانه؛ مَن علِم ذلك علمًا يقينا، نفعته الآيات، وكان من العاقلين.

- ليس العقل أولى بالاقتران بالقول منه بالعمل؛ فإذا اقترن التداول اليوناني بالقول، فيبدو أنَّ اقترانه بالعمل أقرب إلى التداول الإسلامي، بل قد يكون أصلًا من أصوله الأساسية.
- الأمَّة في حاجة إلى هزات تحيي القلوب، وتستحثها للخشوع والتسليم، كلَّما فترت وأخلدت إلى الدنيا وإلى متاعها؛ وإلَّا كان مصيرها مصير الأمم السابقة من أهل الكتاب.
- الفكر عملٌ حركيٌّ داخليٌّ، والشعور فورانٌ حركيٌّ باطنيٌّ؛ فالفكر المنظَّم هو التساؤل عن الكائنات التي تحيط بنا، ومحاولة فهم أسبابها وأسرارها؛ أمَّا القلب النابض بالحياة، فيعيد كلَّ شيء إلى أصله وسببه الأوَّل؛ والقاعدة الكلية أنَّ: «الفكر يؤدِّي إلى العلم، والشعور يبعثُ على الإيمان، والوصل بينهما يورِّث الصلاح والإحسان».
- يقول الشيخ محمد الغزالي: «قلت يوما لرجل تعوَّد السكر: ألا تتوب إلى الله؟... فنظر إليَّ بانكسار ودمعت عيناه ، وقال : ادع الله لي!! تأملت في حال الرجل ورقَّ له قلبي؛ إنَّ بكاءه شعورٌ بمدى تفريطه في جنب الله، وحزنه على مخالفته، ورغبته في الاصطلاح معه. إنه مؤمن يقينًا، ولكنه مبتلًى!. وهو ينشد العافية

ويستعين بي على تقريبها... قلت لنفسي: قد يكون حالي مثل هذا الرجل أو أسوأ؛ صحيح أنني لم أذق الخمر قطُّ، فإنَّ البيئة التي عشت فيها لا تعرفها، لكني ربما تعاطيت من خمر الغفلة ما جعلني أذهل عن ربي كثيرا، وأنسى حقوقَه. إنه يبكي لتقصيره، وأنا وأمثالي لا نبكي على تقصيرنا، قد نكون بأنفسنا مخدوعين... وأقبلت على الرجل الذى يطلب منى الدعاء ليترك الخمر، قلت له: تعال ندع لأنفسنا معا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

من الفكر إلى الفعل

- هو أمرٌ بالعلم، وحثٌّ على التعقل؛ ما أحوجنا إلى الاستجابة لأمر الله سبحانه.
- اللهمَّ أحي قلوبنا بعد موتها، وثبتها على دينك.
- من سلَّم لله تعالى في كلِّ أمره نفعته الآيات، وكان من العاقلين.
- العقل أن تجمع بين العلم والعمل، ومن لم يقرن بينهما لم يكن عاقلا.
- الأمَّة في حاجة إلى هزات تحيي القلوب، وتستحثها للخشوع والتسليم له في كلِّ أحوالها..
- الفكر المنظَّم هو التساؤل عن الكائنات التي تحيط بنا، ومحاولة فهم أسبابها وأسرارها.
- القلب النابض بالحياة، يعيد كلَّ شيء إلى أصله وسببه الأوَّل.
- للقراءة: «**دستور الوَحدة الثقافية بين المسلمين**» لمحمد الغزالي. و«**التفكير فريضة إسلامية**» لعباس محمود العقاد.

قال الله تعالى:

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿18﴾

بذور المعنى

- قرأ عاصم: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ بالتخفيف، أي: الذي صدَقوا الله ورسوله؛ وقرأها آخرون: بتشديد الصَّاد ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾، أي المتصدِّقين والمتصدِّقات، من الصدقة.
- ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: سبق الوعد من الله تعالى للذين آمنوا: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾؛ ولقد استجابوا لله تعالى، وصدَقوا وعد الله الحقَّ، ثم تصدَّقوا وأنفقوا ابتغاءَ وجهه الكريم؛ وأقرضوا الله قرضًا

حسنًا؛ فجاءت هذه الآية تُشيد بهم وتبشِّرهم ببلوغ نواياهم، وقبول أعمالهم.

- ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: يضاعف لهم ما تصدقوا به وأنفقوه؛ ثم يضاعف لهم في الأجر، فالحسنة بعشر أمثالها، وأكثر من ذلك إلى ما شاء الله، حتى يوفِّيهم أجرَهم بغير حسابٍ؛ فإنَّ مضاعفة الأجر من الله الكريم ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، لا تشبه مضاعفة الأجرة ممن له حدٌّ في ملكه من بني البشر.
- الأجر الكريم هو الأجر الذي يمنح صاحبه الكرامة، وأيُّ كرامة أعظمُ من حبِّ الله تعالى ورضاه، ونيل جنته ورحمته.

التشغيل والتفعيل

- المصَّدِّقون والمصَّدِّقات، هم الذين عاشوا العطاء رسالةً تخالط أفكارهم، ويمارسونها في حياتهم صبغة تنشط جوارحهم، ويتحرَّكون معها في علاقاتهم، بما يرضي الله تعالى، ويقرِّبهم إليه سبحانه.
- صفة المصَّدِّق الذي يُقرض الله قرضا حسنا، أنه لا يتفضل على آخذي الصدقة بالمنِّ ولا بالأذى؛ وإنما يؤتي ما يؤتي وكأنه هو آخذه، تذلُّلا للخالق، وتواضُعا

للمخلوق.

- في الحديث الشريف ما يدفع المسلم للسخاء والتصدُّق بغير حسابٍ، تأكيدا لهذه الآية الكريمة، قال ﷺ: **«ثلاثة أقسم عليهنَّ، وأحدِّثكم حديثًا فاحفَظوه: ما نقُص مال عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلم عبد مظلمة فصبر عليها، إلَّا زاده الله بها عزًّا، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتح الله عليه بابَ فقرٍ»**.

من الفكر إلى الفعل

- التصديق والتصدُّق متلازمان، فالذين صدَقوا الله ورسوله، وتصدَّقوا بما آتاهم الله من فضله، يضاعف لهم الأجر.
- الأجر الكريم هو الأجر الذي يمنح صاحبه الكرامة، وهو مطلب عزيز المنال، كثير النوال.
- أن نعيش العطاء رسالةً فكرية، ونمارسها عمليًّا، ونتحرك معها في علاقاتنا؛ بما يرضي الله تعالى.
- الذي يُقرض الله قرضا حسنا هو الذي لا يتفضل على آخذي الصدقة بالمنِّ ولا بالأذى.
- «**ما نَقُصَ مال عبد من صدقة**».
- «**ما ظلِم عبد مظلمة فصبر عليها، إلَّا زاده الله بها عزًّا**».
- «**ما فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلَّا فتح الله عليه بابَ فقرٍ**».

قال الله تعالى:

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿19﴾

بذور المعنى

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ﴾: الإيمان بالله تعالى هو أصل التوحيد، وروح الإيمان؛ والإيمان بالرسل، والكتب، والملائكة، واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره من الله؛ جميعها متفرعة عن الإيمان بالله وحده؛ ولذا سمي علم العقيدة «توحيدا»، و«علم التوحيد».
- ﴿وَرُسُلِهِ﴾ الإيمان بالرسل ركنٌ من أركان الإيمان؛ ولا يقتصر الإيمان على رسولٍ دون آخر؛ فمن أنكر رسولا من الرسل ولم يؤمن به كان عند الله تعالى منكرًا للدين كله، كافرًا به جميعا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِّن رُّسُلِهِۦٓ﴾.

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: المؤمنون بالله ورسله إيمانا لا يشوبه شكٌّ هم عند الله تعالى من ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ أي المبالغين في التصديق؛ وهم من ﴿وَالشُّهَدَآءُ﴾؛ كما في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾. وهو تفسير للآية السابقة: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾.

- ﴿الشُّهَدَآءُ﴾ أعمُّ ممن مات قتيلا، قال الحسنُ: «كلُّ مؤمن فإنه يشهد كرامة ربه»، وقال الأصم: «كل مؤمن شهيد؛ لأنه قائم لله تعالى بالشهادة فيما تعبَّدهم به». وهذا جريا مع توسيع مفهوم الشهيد في قول رسول الله ﷺ: «**ما تعدُّون الشهيد فيكم؟**» قالوا: «المقتول» قال: «**إنَّ شهداء أمَّتي إذن لَقليل**» ثم ذكر: «**الشهداء سبعةٌ سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد**».

- ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي لهم حظهم من الأجر

الكريم، ومن النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، كما في بشارات الآيات السابقة. أو لهم أجرهم في الدنيا، ونورهم في الآخرة. وإضافة الأجر والنور لهم زيادة في الإكرام والإنعام؛ كأنهم مستحقوه بأعمالهم، وبوعد الله تعالى به لهم. ولا أحد يدخل الجنة بعمله، إلَّا أن يتغمَّده الله برحمته.

- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِئَايَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: قابلت الآية صفتين للمؤمنين «الإيمان بالله وبالرسل»، بصفتين للكفار ﴿كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾؛ وكأنَّ المعنى كفروا بالله، وكذبوا برسله. ثم زادت للمؤمنين صفتين هما: «التصديق، والشهادة». وقابلت جزاء المؤمنين بأنَّ ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، بجزاء الكفار ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

- والآية شاملة للكفار والمشركين بوصف الذين كفروا، والمنافقين بوصف الذي كذَّبوا؛ أمَّا كونهم أصحاب الجحيم فلشدَّة ملازمتهم للجحيم نسبوا إليه، ولا صحبة لهم غيره.

التشغيل والتفعيل

- الصِّدِّيق المبالِغ في التصديق، هو من استوى ظاهره وباطنه، و«الصِّدقية» صفةٌ تكسو القلب فيصلُح، وتغمُر

العقل فينصف من نفسه ومن الآخرين. قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ من الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وبذل السَّلام للعالَم، والإنصاف من نَفسه**». وكأنَّ معاني هذا الحديث شارحة لما ورد في هذه الآية والتي قبلها.

- في الآية بُشرى للناس جميعا أنهم بمقدورهم أن يبلغوا مقام ﴿الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ﴾، ويحشروا معهم ومع الأنبياء؛ حتى وإن لم يكونوا معهم مكانًا وزمانًا؛ فهذا المقام ليس حكرا على عصر، ولا على صفة؛ إلَّا صفة الإيمان بالله ورسله إيمانًا حقًّا.
- دينُ الإسلام دينٌ مفتوح للمنافسة الحرَّة، ولا حظَّ فيه لأيِّ محسوبية مهما كان اعتبارها؛ حتى القربُ من النبي ﷺ دمًا، لا يشفع لصاحبه إذا لم يحقِّقه بالتصديق وبالعمل الصالح، فعن حذيفة قال: جئت إلى النبيء ﷺ والعباسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جالسٌ عن يمينه، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن يساره، فقال: «**يا فاطمة بنت رسول الله، اعملي لله خيرا؛ فإني لا أغني عنكِ من الله شيئا يوم القيامة**». قال ذلك ثلاث مرات. قال: «**يا عبَّاس بن عبد المطلب، يا عمَّ رسول الله، اعمل لله خيرا؛ فإني لا أغني عنك يوم القيامة من الله شيئا**» ثلاث مرات، ثم قال: «**يا حذيفة، ادنُ**»، فدنوتُ، ثم قال: «**يا حذيفة،**

ادنُ»، فدنوتُ، ثم قال: «**يا حذيفة، مَن شهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله، وآمن بما جئتُ به؛ حرَّم الله عليه النار، ووجبت له الجنة. قلت: يا رسول الله، أسِرُّ هذا أو أعلنه؟ قال: أعلنه**».

- التأكيد على الإيمان بالله ورسُله، حصنٌ للمسلمين مِن الجدل في جزئيات العقيدة، وتفسيراتِ علم الكلام، التي تصنِّفهم وتقسِّمهم شيَعا ومذاهبَ؛ فالاقتصار على أصول الإيمان ضمانٌ من ضمانات وحدة الأمَّة.

من الفكر إلى الفعل

- نؤمن بالرسل جميعا، ولا نفرِّق بين أحد من رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
- «الصِّدقية» صفةٌ تكسو القلب فيصلُح، والجوارح فتفلح.
- **«ثلاثٌ من الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وبذل السَّلام للعالَم، والإنصاف من نَفسه».**
- «دين الإسلام دينٌ مفتوح للمنافسة الحرَّة، ولا حظَّ فيه لأيِّ محسوبية»، فلتكن جميع أمورنا كذلك.
- الاقتصار على «أصول الإيمان» ضمان من ضمانات وَحدة الأمَّة.
- للقراءة: «**الإسلام يتحدَّى**» لوحيد الدين خان.

قال الله تعالى:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿20﴾

بذور المعنى

- كيف ينظر الإنسان إلى الدنيا؟ وكيف ينظر إلى الآخرة؟ وما العلاقة بينهما؟ وكيف يبرمج عمله، ويقسِّم مهام يومِه بين الدنيا والآخرة؟ وهل أساسًا يمكن الفصل بين ما هو دنيويٌّ وما هو أخرويٌّ؟ هي أسئلة مركزية، تشكِّل نوعَ الحضارة والثقافة التي يتوخاها مجتمع معيَّن، في زمن معيَّن، بأسلوب معيَّن.
- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: الحياة الدنيا إذا قيست

بمقاييسها الذاتية بدت وكأنها عظيمةٌ، تستحقُّ أن تُعاش لذاتها؛ أمَّا إذا قيست بمقاييس الآخرة فتبدو غير ذات قيمةٍ: حقيرةً، فانيةً، زائلةً... إلَّا أن تكون وسيلةً لغايةٍ عُظمى هي الآخرة والباقية، لا غايةً في حدِّ ذاتها؛ من هنا تكتسي أهميتَها وقدرها؛ ذلك أنَّ جميع ما فيها ومن فيها سريعُ الزوال، قريب الفناء؛ وفي الأثر: «**الدنيا مطيَّة الآخرة، فحسِّنوا مطاياكم**».

- ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: اللعب حركة للإنسان ليس لها مقصدٌ، إلَّا التسليةَ وشغلَ الوقت واستنفاذ الطاقة؛ واللعب يكون عادة للصبيان، قبل زمن التكليف؛ وإذا كان بعده، وألهى عن العبادة فهو لهوٌ.

- وردت في آيات بصيغة ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وأخرى بصيغة ﴿لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾؛ فما الحكمة من اختلاف الترتيب، بين هذه الآيات؛ بخاصَّة بين هذه الآية والتي في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؟.

- ﴿وَزِينَةٌ﴾: شيءٌ زائدٌ عن قِوام الحياة وعن ضروريات العيش؛ فإذا ما حصل الإنسان على الحدِّ الأدنى في ملبسه ومأكله ومسكنه، تشوَّف إلى التحسينيات والكماليات، أي إلى ﴿ٱلزِّينَةِ﴾.

- ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ﴾: التفاخرُ هو التعاظم والتكبُّر والتباهي؛ والمرء يفتخر على غيره إمَّا بشيء في ذاته كالصحَّة أو الجمال، أو بشيء مُكتسب خارجٍ عن ذاته كالأموال والأولاد، والجاه والعلم. والتكاثرُ كذلك تفاخرٌ وطلبٌ للكثرة والزيادة على الغير.

- وكلُّ ما يَتفاخر به الناس ويتكاثرون هو حائل زائل لا محالة؛ إلَّا تقوى الله جَلَّجَلَالُهُ، والعملُ الصالح: ﴿بَلْ تُؤثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

- ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: الدنيا كمثل مطر نزل من السماء، فأنبت نباتا حسنًا، فأعجبَ ﴿الْكُفَّارَ﴾، - أي الزراعَ الذين زرعوه - جمالُه واستواؤه على سُوقه، وثمرُه اليانع؛ وبعد أن هاجَ وازدهر يبدأ في الخمول، ثم يصفرُّ، ثم يتحوَّل إلى حُطام لا أحد يساومه؛ كلُّ هذا في وقتٍ قصير جدًّا بمعايير الزمن والكون، أمَّا بمعايير الخلود والأبد، فهو لا شيء.

- قال ابن مسعود: الكفار هم الزراع؛ جمع كافر وهو الزارع لأنه يكفر الزريع بتراب الأرض، والكَفر

الستر، أي ستر الزريعة.

- قال الإمام ابن عاشور: «ضُرب مثلُ الحياة الدنيا لأطوارِ ما فيها من شبابٍ وكهولةٍ، وهرمٍ ففناءٍ، ومن جِدَّة وتبذُّل وبِلًى، ومن إقبالِ الأمور في زمن إقبالها، ثم إدبارها بعد ذلك، بأطوار الزرع. وكلها أعراض زائلة، وآخرها فناءٌ».
- ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لتنفير المستمعين من اختيار السبيل الفاني، ومن الاغترار بالدنيا، وكفران النعم؛ فأنذرهم تعالى من عذاب شديدٍ في الآخرة.
- ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ﴾: ثم قابله بالتحبيب للإيمان وللعمل الصالح، وأنَّ من لم تغرَّه الحياة الدنيا، وعمل فيها لله تعالى، وبما يرضيه، واستغفر لذنبه إذا أخطأ؛ فله جنة النعيم كنَّى بها بالمغفرة، والرضوانُ هو أعظم جائزة من الله تعالى لعباده: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾.
- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: أي بضاعةٌ خادعةٌ زائفةٌ لا تدوم؛ والغُرور بالضم مصدر غرَّ، والغَرور بالفتح هو الشيطان. والغُرور ما يخدع الإنسان؛ والحياة الدنيا إذا لم يحسن الإنسان فيها كانت له غرورا وخديعة: ﴿ذَالِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَئَابِ﴾.

- ومَن اتخذ الدنيا لهوا ولعبا، واطمأنَّ إليها، فنسي الآخرة والعقبى، كانت الآخرة له عذابًا شديدًا، جزاء غفلته وكفره وظلمه. أمَّا من استثمر الدنيا على قِصرها فيما أمر الله به، فسيكون له في الآخرة حين ينتقل إلى ربه: مغفرةٌ، ورضوان من الله أكبر.

التشغيل والتفعيل

- لا تُستعظم الدنيا لذاتها، ولا تحتقر ولا تُسبُّ، وإنما تعمر بالتوحيد الخالص، وبالعلم النافع، وبالعمل الصالح؛ والرؤية الكونية الصحيحة عن الدنيا، والمفسِّرة لهذه الآية وما بعدها من الآيات، قولُ الرسول ﷺ: «**لا تسبُّوا الدنيا، فنعم مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرِّ**». أمَّا الظالم لنفسه فيتَّخذها رأسَ ماله، ويخسر لأجلها آخرته ورضا ربه.
- ليس المقصد من الآية الكريمة العزلةُ عن الحياة، ولا إهمالُ عمارتها وخلافتها؛ وإنما المقصد هو تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية؛ وهذا التصحيح شرطٌ للإيمان وللإحسان ولعمارة الأرض عوضا عن الإفساد فيها.

- في مقابلة العذاب الشديد بأمرين هما: المغفرة، والرضوان؛ تغليبٌ للرحمة على العذاب، كما ورد اليسر في سورة الشرح مرتين مقابل العسر مرَّة، وفي الأثر عن الحسن: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما مسرورا فرِحا وهو يضحك، وهو يقول: «**لن يغلب عسرٌ يُسرين**». ومن القرآن الكريم والحديث الشريف نستنبط خُلقا من أخلاق الداعية إلى الله، في أن يغلِّب التيسير على التعسير، والرحمة على العذاب، في دعوته وفي خطابه ووعظه؛ لكي لا يقنِّط الناسَ.
- كلَّما حاول الناس الفصل بين عالم الأسباب وعالم الغايات وقعوا في الانفصام، وكلَّما عمروا الدنيا وخربوا الآخرة، أو عمروا الآخرة على حساب الدنيا، خسروا الدارين معًا؛ واعتبار الدنيا «مشهرا برَّاقا لعرض تجليات الله تعالى»، و«موضع حصاد الزروع لحساب الأبديات»، و«حجرة انتظار للآخرة»... يدفع إلى العمل الدؤوب فيها، دون الاغترار بها.

من الفكر إلى الفعل

- الحياة الدنيا وسيلةٌ لغاية عظمى هي الآخرة والباقية.
- التفاخر والتكاثر يعالجه المؤمن بالإيمان واليقين، والعمل الصالح، والدعاء الصادق.
- تُعمر الدنيا بالتوحيد الخالص، وبالعلم النافع، وبالعمل الصالح الذي يرضي الله تعالى، وينفع عباده.
- «**لا تسبُّوا الدنيا، فنعم مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرِّ**».
- قابَل الله تعالى «العذاب الشديد» بأمرين هما: «المغفرة، والرضوان»؛ تغليبًا للرحمة على العذاب. وهذا منهج في الدعوة.
- معالجة الرؤية الكونية التوحيدية من أولويات الفكر المعاصر.
- للقراءة: «**تفسير الشعراوي**» للشيخ الشعراوي؛ «**ونفحات القرآن**» لناصر الشيرازي.

قال الله تعالى:

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَالِكَ فَضْلُ اللهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿21﴾

بذور المعنى

- ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: المسابقة هي المغالبة في السبق للوصول إلى غرضٍ، بأن يعمل كلٌّ طرف على أن يجعل حركته أسرعَ من حركة صاحبه، ليكون هو الفائز والرابح. والمسابقة والمسارعة تعني المفاعلةَ والمشاركة بين المؤمنين، وهي المنافسة نحو غايةٍ واحدةٍ هي مغفرة الله، وجنته، وفضله ورضوانه.
- أمرَنا ﷺ بالتنافس في المصالح الأخروية الباقية، ونهى عن التنافس في المصالح الدنيوية الفانية

لذاتها، بل أجاز لنا أن نتنافس فيها لأجل غايةٍ أسمى.

- لقد دلت النصوص على مشروعية المنافسة في التجارة، والصناعة، والعمارة؛ شريطة أن لا يكون فيها تفاخرٌ، وتكاثرٌ، وتحطيمٌ للآخر، وتبريرٌ للوسيلة على حساب الغاية؛ وأن يبتغى فيها وجه الله تعالى، ونفع عباد الله، والنصيحة لهم.

- ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالاَرْضِ﴾: قضية الإيمان بالله مقرونة بالإيمان بالرسل، تكرَّرت في هذه السورة عدَّة مرَّات بصيغ مختلفة، كذلك تكرَّر ذكر ﴿السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ﴾ بمختلف المعاني؛ ولعلَّ هذه الآية التي جمعت بين القضيتين، هي مركز السورة.

- في آية آل عمران: ﴿سَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالاَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ والفرق بين الآيتين في: ﴿سَابِقُوا﴾ مقابل ﴿سَارِعُواْ﴾؛ وفي الكاف ﴿كَعَرْضِ﴾ مقابل ﴿عَرْضُهَا﴾، وفي ﴿السَّمَآءِ وَالاَرْضِ﴾ مقابل ﴿السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ﴾، وفي ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ مقابل ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. والله أعلم بدقائق الفروق دلالةً ومعنى؟

- العرض في اللغة مقابل الطول، والعرض في الآية هو السعة، لا المعنى المألوف بمعايير الهندسة

والأحجام في الدنيا.

- ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾: فعل الماضي دليلٌ على أنها موجودةٌ الآن، ففي إسراء الرسول ﷺ ومعراجه، قال: «**وعرضت عليَّ الجنة**». فهل هي موجودة بالفعل، أم بالقوَّة، أم باحتمال آخر يفوق تصور البشر؟ يستوي ذلك عند الله تعالى، وليس في مقدور عقولنا البث في ذلك.
- ﴿ذَالِكَ فَضْلُ اللهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ﴾: الفضل هو الأمر الزائد على حاجتك الضرورية، ولكن في حقِّ الله تعالى، كلُّ ما في الكون، وما في الآخرة والغيب، هو فضل الله سبحانه؛ لأنه ليس في حاجة إليه. فالله غير محتاج لخلقه، ولا لأيِّ نعمة سبقت، أو ستأتي.
- ﴿واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: فهو صاحب الفضل الهائل الكبير، بكلِّ الاعتبارات. وأغلب ما نسب الفضل إلى الله تعالى في القرآن الكريم جاء وصفه بأنه ﴿عَظِيمٌ﴾.

التشغيل والتفعيل

- مباشرةً بعد بيان حقيقة الدنيا أمرَنا تعالى بقوله:

﴿سَابِقُوا﴾؛ فلو أنه أراد لنا أن ننفُر منها، لأمرنا بهجرها وبالزهد عنها؛ ولكنه سبحانه علَّمنا أن نجعلها وسيلةً لا غايةً، وأن نعمُرها بالصالحات ابتغاء الغاية الكبرى: رضاه وفضله سبحانه.

- المغفرة من الله إمَّا يسبقها ذنبٌ فتمحوه، أو تكون بمعنى سترِ الذنب، وعصمتك منه، فلا يأتيك ولا يواتيك؛ وفي الحديث عن صحابيٍّ علَّمه ملَكٌ دعاءً، مما جاء فيه: «**اللهم اغفر لي جميع ما سلف من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عُمري، وارزقني أعمالًا زاكية ترضى بها عني**».
- ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ﴾: كناية عن السعة، والعرض أقلُّ من الطول؛ فما هو طول الجنَّة؟ أو ليس العرض والطول بمعايير الهندسة التي نعرفها؟ الله أعلم. ولكن عرض الكون المحسوب يقاس بحوالي 90 مليار سنة ضوئية؛ في إحدى القياسات، ومع ذلك فالنظرية العلمية تثبت أنَّ الكون في توسُّع مستمرٍّ.
- في الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: «**لن يُدخل أحدا عملُه الجنةَ**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني الله بفضلٍ ورحمةٍ**». فالمرء يعمل، ويخلص النية، والله تعالى يرحمه ويتفضَّل عليه، ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

من الفكر إلى الفعل

- أمرَنا سبحانه وتعالى بالتنافس في المصالح الأخروية الباقية: ﴿سَابِقُوا﴾.
- أجاز الله لنا أن نتنافس في المصالح الدنيوية لأجل غاية أسمى، لا لذاتها.
- ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ لنذكرْ دوما فضله، ولنعمل بناء على ذلك.
- لا يدخل أحدٌ الجنة بعمله، فلنسأل الله من فضله
- «اللهم اغفر لي جميع ما سلف من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عُمري، وارزقني أعمالا زاكية ترضى بها عني».

قال الله تعالى:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴿22﴾﴾

بذور المعنى

- بعد أن بيَّن الله تعالى حقيقة الدنيا ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ...﴾؛ أمر سبحانه عباده بالمسابقة فيها لنيل مغفرته ونوالِ جنته؛ ولا يكون ذلك إلَّا بالعمارة، وفعل الخيرات، والإصلاح فيها؛ ثم عرج في هذه الآية وما بعدها إلى أنَّ في الحياة ما يسرُّ وما يضرُّ، ما يُفرح وما يُحزن؛ فإذا ما أصاب إنسانًا مصيبةٌ ولا بدَّ، ها هو المنهج الذي يجب أن يتعامل به حيالها:
- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: ما يصيب الإنسانَ من مصيبة في الأرض ولا في نفسه، إلَّا وهو مدوَّن في كتابٍ حفيظ، وقد فُرِغ منه؛ وذلك قبل أن يبرأ الله تعالى الأنفس، ومِن قبلِ أن يخلقها.

- برأ الله تعالى الشيءَ: خلقه لا على مثالٍ، ومنه البارئ الخالق. والبَرْءُ أخصُّ من الخلق؛ فلِلبرء اختصاصٌ بخَلْق الحيوان وقلَّما يستعمل في غيره، كـ«برأ اللهُ النسمَة»؛ أمَّا خلَق فيُستعمل في الحيوان وفي غيره.
- المصيبةُ: كلُّ ما يصيب الإنسان، ويسوءه من مكروه، ينغِّص عليه سلامة التنعُّم، ويذيقه الألم والشقاء. واسمها يدلُّ عليها، فهي لا تسمَّى مصيبة إلَّا إذا وقعت. والأصل أن تكون للخير والشرِّ؛ ثم خُصَّ بها الشرُّ في عرف اللغة.
- المصيبة في الأرض: القحط، والزلازل، والرياح وغيرها. ومفهوم المصيبة في الأرض قد يبرِّر استعمال عبارة «مصيبة الطبيعة»، و«الكوارث الطبيعية»؛ لكن ليس بمعنى أنَّ الطبيعة هي التي تسبَّبت فيها، وإنما أنها جاءت في أمور الطبيعة، لا في أمور الأنفس.

- مصيبة الأنفس: الأمراض، والأسقام، والموت. وهي أشدُّ على الإنسان من مصيبة الأرض؛ ذلك أنَّ الأولى قد يتجاوزها، أمَّا الثانية فهي في ذاته، ومن ذاته.
- ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: الكتاب مجاز عن علم الله تعالى، والمعنى أنَّه لا يقبل التبديل والتغيير والتخلف.
- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾: قال الإمام الطبري: «أي إنَّ خلق النفوس، وإحصاء ما هي لاقية من المصائب، على الله سهلٌ يسيرٌ». وقال الإمام البغوي: «أي إثبات ذلك على كثرته هيِّن على الله عَزَّوَجَلَّ». وقال الإمام الكندي: «أي لاستغنائه فيه عن العدَّة والمدَّة».

التشغيل والتفعيل

- ورد في الحديث المقطوع، عن قتادة، في تفسير الآية، وفي معنى ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾، قال: «هي الأوجاع والأمراض، قال: بلغنا أنه ليس أحدٌ يصيبه خدشُ عودٍ، ولا نكبةُ قدمٍ، ولا خلجان عِرق إلَّا بذنبٍ؛ وما يعفو الله عنه أكثر»، وفي الآية الكريمة: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

- وجب توجيه هذا المعنى بـ«الصفة» لا بـ«التعيين»؛ فإذا ما أصاب مسلمًا أو أمَّة مصيبة لا يجوز أن يقال له أو عنه: «هذا بسبب ذنبك»، فقد يكون من قبيل الابتلاء. وعلى المرء أن يتخذ ما يصيبه سببًا للتوبة والاستغفار: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾.
- مِن الخطأ الدعاء بما ألِفه الناس: «اللهم لا نسألك ردَّ القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه»؛ ذلك أنَّ الرسول ﷺ يقول: «**لا يردُّ القضاءُ إلَّا الدعاء**»؛ فإنَّ ردَّ القضاء بقضاء مثله، ليس فيه نقص ولا ما يناقض كمال الله تعالى؛ لأنه جميعا من الله سبحانه. والصواب أن نسأل بالدعاء المأثور: «**وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا**».
- يُسأل الله تعالى الكريم بالعزم، وبأعظم الدعاء، فهو الكريم الحليم، مالكُ الملك، قال ﷺ: «**ليعزم المسألة، وليعظِّم الرغبة؛ فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**».
- خلقُ الأنفس، وإحصاءُ ما تلقى من مصائب، وما ينالها من قدَر؛ سهلٌ ويسير على الله تعالى. ولكنه مستحيلٌ عند غيره، مهما تقدَّم وتطورَّ؛ فالإنسان لا يحصي مصيبة فرد واحدٍ، بعد ثانية واحدة؛ بل حتى ما مرَّ من المصائب، لا يستوعبها ولا يعرف حقيقتها ولا أسبابها على التفصيل المطلق.

- ليست الفواصل الزمنية بين تقدير الأحداث ووقوعها سوى حدود ملائمة لطبيعة الخلق والبشر؛ أمَّا الخالق سبحانه فليس عنده ماض وحاضر ومستقبل؛ إنه مطلق العلم، مطلق القدرة، مطَّلع على الوجود في شموله ونظامه، وفي جزئياته وتفاصيله؛ ومن يعلم ذلك، ويتيقن به، يتلقَّى المصائب والقدر كلَّه، برضا نفسٍ، وطمأنينة قلبٍ؛ فيجد حلاوة الإيمان ويستشعرها.

من الفكر إلى الفعل

- ما يصيب أحدا من مصيبة إلَّا وهي في كتاب مبين.
- الصواب أن نسأل بالدعاء المأثور: «**وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا**».
- «**إنَّ الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**» ولذا وجب علينا أن نعزم المسألة، ونعظم الرغبة.
- استشعار عظمة الله تعالى، والتفكر في طلاقة قدرته، يمكّن المسلم من الانطلاق في آفاق واسعة من التوفيق، والقبول، والرضا.
- للقراءة: «**التفسير الميسر للقرآن الكريم**» سعيد بن أحمد الكندي.

قال الله تعالى:

لِكَيْلاَ تَاسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿23﴾

بذور المعنى

- من يملك أن يعرف في أمرٍ حادثٍ مِن فرحٍ أو حزن، ما مصيره؟ وما عقباه؟ وكيف ينتهي؟ وهل هو خيرٌ كلُّه؟
- ﴿لِكَيْلاَ تَاسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: أخبرناكم بما مرَّ لكي لا تحزنوا؛ لأنَّ مَن علم أنَّ كلَّ شيء بقضاء الله وقدره، لا يعظم جزعه بفَوتٍ، ولا فرحُه بإتيان.
- التعليل بلام التعليل و«كي» المفيد للتعليل؛ معناه لأجل أن لا تأسوا؛ وهو متعلق بمقدورٍ، أي بمقدوركم أن تأسوا بما فاتكم، وتفرحوا بما

آتاكم، وإنما أخبرناكم بما مرَّ لأجل أن لا تفعلوا ذلك؛ وبهذا يكتمل إيمانكم، وترشُد أفعالكم، وأنتم تواجهون المصائبَ والنعم، بقلب مخبت مؤمن.

- ﴿وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَاكُمْ﴾: الفرح المنهي عنه هو الفرح المذمومُ البالغ حدَّ البطر، وهو الفرح الذي يحمل صاحبه على الغرور والتكبُّر؛ الفرحُ الذي يورث البطر والغطرسة، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ﴾؛ أمَّا الفرح المحمودُ، فيورث الانكسار وشكر المنعم: ﴿فَبِذَالِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.
- ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: الفخر: المباهاة بما هو خارجٌ عن ذات الإنسان، كالمال والجاه؛ والاختيال: التكبُّر بما في ذات الإنسان، كالعلم، والقوَّة، والجمال.
- حين يقول الله تعالى لنا ﴿لِكَيْلاَ تَاسَوْا...وَلاَ تَفْرَحُوا﴾ يريد أن يحفظ نفوس المؤمنين عمَّا يكدِّر صفوها، ويخرِجها من حال القنوط من روْح الله، أو الأمن من مكر الله، إلى حال الرضا بقضاء الله بنفسٍ مطمئنة متوكِّلة، تلك النفس التي يحبِّها الله. ذلك أنَّ الحزن «لا يغيِّر واقعا، ولا يعيد فائتا».

التشغيل والتفعيل

- ليحذر المرء أن يداوم الحزن ويلازمَه فيديمه الله عليه. وفي الحديث القدسيِّ: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء**».
- قيمة الرجال تتبين بتغيرهم، فمن لم يتغيَّر بما يرد عليه من محنة أو مكروه، أو نعمة أو حظوة؛ فهو الكامل.
- إنَّ اتساعَ الأفق، واعتبار الكون في شساعته، ووضعَ الأشياء في خط الزمن بين الأزل والأبد، وحسابَ الأحداث بمعيار العُقبى؛ كلُّ ذلك يُقدِر النفسَ على أن لا تتغيَّر لفرح أو طرح؛ ولكنها تفرح بقدر موافقته لمراد الله، وتحزن بقدر مخالفته لما يحبه الله.
- قال عكرمة: «ليس أحد إلَّا وهو يَفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا» .
- السوداوية والاكتئاب السوداوي، من أمراض العصر المزمنة، والتي لها آثار وخيمة على الإنسان، قد تنتهي بصاحبها إلى الانتحار، ومن أعراضها: الشعورُ المستمر بالحزن الشديد ولفترة طويلة من الزمن، وفقدان الاهتمام بالأنشطة التي كانت ممتعة من قبل، والشعور بالتعب والإرهاق الدائم، وملازمة القلق والانفعال. وهو من أمراض الرفاه والمدنية، قلما يصيب أهل البادية والمجتمعات البسيطة.

من الفكر إلى الفعل

- مَن علم أنَّ كلَّ شيء بقضاء الله، لا يعظم جزعه بفوتٍ، ولا فرحه بإتيان.
- نهى الله تعالى عن الفرح الذي يحمل صاحبَه على الغرور والتكبُّر، والبطر والغطرسة.
- الفرح المحمود، هو الذي يورث الانكسار وشكر المنعِم سبحانه.
- لا يغيِّر الحزنُ واقعا ولا يعيد فائتا.
- سعة الأفق، وحساب الأحداث بمعيار العقبى، يمنح النفس توازنا.
- «اجعلوا الفرح شكرا، والحزن صبرا».
- للقراءة: «**ميمونة**» رواية لمحمد باباعمي.

قال الله تعالى:

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿24﴾

بذور المعنى

- ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: من الناس من يبخل ولا يُنفق، ولكنَّ بخله لا يتجاوزه إلى غيره؛ ومنهم من يبخل ويُعرض عن الإنفاق، ويتعدَّى ضرره ويحتدُّ بخله، فيتحوَّل إلى آمرٍ للناس بالبخل؛ وذلك مثل قول بعض المنافقين عن أهل الصُّفَّة: ﴿لاَ تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾. وأمثال هؤلاء هم رأس النفاق، وسببُ شقاء الأمم.
- هذا الوصف بدلٌ عن ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾؛ أي أن الله تعالى لا يحبُّ ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾،

ولا يحبُّ ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾.

- البخل والشحُّ: البخل أن يبخل الإنسان عن الآخرين، ويمسك ماله عن العطاء؛ ولكنه يكرم نفسه وينفق عليها؛ أمَّا الشحُّ فهو البخلُ على النفس وعلى الآخرين ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾.

- ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: أي من يُعرض عن أمر الله تعالى، وعن الإنفاق في سبيل الله جَلَّجَلَالُهُ؛ ويقال تولى الشأن أخذه وأقبل عليه، وتولى عنه تركه وأعرض عنه.

- الله سبحانه هو مالك الملك، وهو الغنيُّ وهو الحميدُ؛ وغيره من الخلق فقراء إليه، وهو أهل لكلِّ حمد؛ ولذا فهو لا يحتاج إليهم وهم يحتاجون إليه؛ فالتولِّي والإعراض مضرٌّ بصاحبه، لا يضرُّ الله شيئا، وهو الغني عن عباده، الحميد الذي يحمده من في السماوات والأرض، وجميعُ خلقه ناطق بحمده: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ اِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

التشغيل والتفعيل

- يجب أن يعتبر المسلم أنَّ المال الذي بين يديه هو مال الله، وأنَّ رزق الكثيرين جعله الله في حوزته مستأمَنا، لينفقه عليهم بسخاءٍ وكرمٍ؛ ولذا كان البخل سرقة لحقِّ الغير، وسطوا على مقدَّراتهم، وخبث سريرةٍ مع المنعم الكريم.
- لا يقتصر السخاء والبخل على أمور المال والمتاع فقط، ولكن يتجاوزه إلى الأمور المعنوية، التي هي كذلك من رزق الله على العبد، أمرَه أن ينفق منها، مثل العلم، والصحة، والرأي، والفكر، والحبِّ، والدعاء، والجهد... ففي كلِّ نعمة أنعم الله بها على عبد من عباده إمكان الكرم والعطاء، وإمكان البخل والحرمان.
- السورة من أولها وهي تحثُّ على الإنفاق: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ...﴾، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا ...﴾، ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ...﴾ وتؤكِّد عليه في هذه الآية ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ولا ريب أنَّ بين اسم السورة «الحديد» والأمر بالإنفاق علاقة سبب ونتيجة، ذلك أنَّ السطوة للمسلمين تمكنهم من بسط منهجهم وعدلهم على العالمين، خلاف ما يعرفه العالم اليوم.
- البخيل من يعطي عند السؤال، ولذا فالكرم أن تعطي

بلا سؤال، وأن تبحث عن حاجة الناس فتقضيها حتى وإن أخفوها، ذلك أنَّ من الناس من يحفظ كرامته ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، فتعرفهم وتسخو عليهم، ذلك هو الكرم الحقيق.

- البخيل من يعطي الناس ليقولوا، ويمتنع حين لا يُعرفُ ما أعطى؛ أمَّا الكريم فهو الذي يخفي صدقته، ويحتسبها عند الله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. ولذا كان الكثير من العطاء الذي عرف به العالَم اليومَ، كـ«المساعدات الإنسانية» يُقصد من ورائه إذلال المعطى له، وتستعمل لأغراض سياسية ومصلحية؛ وقد درس هذه الظاهرة العولمية صاحب كتاب «**فخ العولمة**»، وسمى هذه المساعدات «حلمة الثدي».

من الفكر إلى الفعل

- نحذر البخل والشح، فإنَّهما بئس الشر للدنيا والآخرة.
- المؤمن مستأمَن على المال الذي بين يديه، هو مال الله بيده، فلينفق منه كما أمره رازقه.
- أمِرنا أن ننفق من كلِّ نعمة أنعمها الله علينا...
- الكرم أن تعطي بلا سؤال، وأن تبحث عن حاجة الناس فتقضيها حتى وإن أخفوها.
- الكريم هو الذي يخفي صدقته، ويحتسبها عند الله.
- لا ريب أنَّ بين اسم السورة «**الحديد**» والأمر بالإنفاق علاقة سبب ونتيجة، علينا أن نجتهد في امتلاك أسباب الصناعة والمال لننفع البشرية، وإلَّا شقيت بتحكُّم الكفَّار على مصادر الرزق.
- للقراءة: «**فخ العولمة**» لهارالد شومان، وهانس بيتر مارتن. وكتاب «**الاغتيال الاقتصادي للأمم**» لجون بركنز.

قال الله تعالى:

لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِالۡبَيِّنَاتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ الۡكِتَابَ
وَالۡمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالۡقِسۡطِ وَأَنزَلۡنَا الۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ
شَدِيدٞ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالۡغَيۡبِ
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿25﴾

بذور المعنى

- ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِالۡبَيِّنَاتِ﴾: أرسل الله تعالى الرسلَ، وأنزل الكتبَ، لإقامة مصالح الدنيا والآخرة، ودفعِ مفاسدهما.
- والرسل بالجمع في الآية لبيان أنَّ الرسولَ محمدا ﷺ ليس بِدعا من الرسل، وما جاء به ليس إلَّا امتدادا وتصديقا لما جاؤوا به؛ وفي بحر السورة تداولٌ بين الإيمان بالرسل والإيمان بالرسول محمد ﷺ؛ ولقد جاء الأمر بالإيمان بالرسول مفردًا، ابتداءً

وانتهاءً، وجميعُ ما بينهما متعلِّق بالرسل جمعًا: ﴿ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾... ثم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾، ثم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾، ثم ﴿لَقَدَ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَـيِّـنَاتِ﴾، ثم ﴿وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾، وبعدها ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا...﴾... ثم ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾.

- الآيات البيِّنات: هي الواضحات التي تدلُّ الناس على الحقِّ سبحانه، وعلى رسوله ﷺ؛ والآيات البينات منها المحكمات، وسماها القرآن الكريم «أمّ الكتاب»، مما أجمعت عليه الأمة ثبوتا ودلالة؛ ومنها المتشابهات، التي اختلفت الأمَّة في دلالتها، وجاز الاختلافُ فيها، ما لم يفض إلى التكفير والإخراج من الملَّة.
- ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾: الكتاب هو تعريفٌ بالجنس، أي أنزلنا معهم كتبًا، كما أنزلنا مع محمد ﷺ قرآنا.
- الميزان: هو ميزان الحقِّ الذي يزن الأشياء، وهو لا يخصُّ الماديات فقط، ولكن يشمل المعنويات كذلك، فهو ميزان يميِّز به بين الحقِّ والباطل. ويوظَّف مصطلح «المنهج» مرادفا للميزان في الدراسات المعاصرة، ولعل أصله قوله تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

- ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: العدل والقسط من المقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية. والآية صريحة في أنَّ الرسل بعثوا ومعهم الكتاب والميزان، لمقصد إقامة القسط بين الناس.
- ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: الآية لا تعني بالضرورة الإنزال من السماء؛ وشواهدُ القرآن كثيرة: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾، ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾؛ واضح أنها هنا لم تنزل نزول مكانٍ؛ وإنما نزول معنى وتفضُّل ورحمة من الله تعالى.
- أو إنزال الحديد إنزال لأسبابه والهداية إليه. وقال بعض: إنه إنزال من السماء إلى الأرض ماديًّا ومعنويًّا.
- الحديدُ هو المعدن المكوِّن لثلث موادِّ الأرض تقريبا؛ وهو كذلك كناية عن القوة والسلطة، ذلك أنَّ العدل تسنده القوَّة والردع ليستقيم أمر البلاد والعباد.
- من لم يردعه القرآن ردعه السلطان، وفي الحديث المروي عن سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقطوعا: «**إنَّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**».

- ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾: هو علمُ واقعٍ، لا علمُ تقديرٍ؛ وناسَب بعد ذكر الحديد وأنَّ فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس أن يشير إلى السيف وإلى آلات الحرب المصنوعة من الحديد، والتي بها ينتصر المسلم لدينه في كل عصرٍ ومصرٍ.
- ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: تَستمدُّ رسل الله قوتها وعزتها من قوة الله وعزته؛ وكلُّ ما انتسب إلى رسل الله، وإلى كتبه، يستمدُّ قوته وعزته من الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. و«حين يذلُّ المنتسبون إلى الإيمان فابحث عن الخلل في إيمانهم» هذه قاعدة لا تخطئ.

التشغيل والتفعيل

- في وجه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد، يقول الإمام الرازي: «والحاصل أنَّ الكتاب إشارة إلى القوة النظرية، والميزان إلى القوة العملية، والحديد إلى دفع ما لا ينبغي؛ ولما كان أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية، ثم رعاية المصالح الجسمانية، ثم الزجر عما لا ينبغي؛ روعي هذا الترتيب في هذه الآية».
- رغم أهمية الذهب إلَّا أنه لا يقوم مقامَ الحديد، إذ

ليست الحاجة إليه ضرورية؛ ذلك أنَّه لو لم يوجد الذهب لما اختلَّ نظام العالم، ولكن لو افتقَد الناس الحديدَ لاختلت حياتهم، واضطربت مصالحهم.

- يقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نورٍ، عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يمينٌ. الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولُوا**».
- الواجب على المسلمين «من منطلق الآية الكريمة» أن يعملوا على امتلاك أسباب القوة، وبذل الجهد في جميع الصناعات والتكنولوجيات، وعلى رأسها الصناعات المرتبطة بالحديد؛ الذي امتنَّ الله تعالى أنَّ فيه بأسًا شديدا، ومنافع للناس؛ وصناعةُ الحديد والمعادن تدخل في كلِّ مجالات الحياة المدنية والحربية: النقل، والبناء، والاتصال، والغذاء، والحرب... ومن ثم كانت العبادة شاملة، منها عبادة في حقل التربية والتعليم، وعبادة في مجال الصناعة، وعبادة في مخابر البحث العلمي، وعبادة في سباق الابتكار والاختراع. والمقرر شرعا وعقلا أنَّ تضييع هذه العبادة كتضييع غيرها، وأنَّ الجهاد فيها كالجهاد في غيرها.
- نصرةُ الله ورسله تتكامل بسببين اثنين، بمنطوق الآية، وهما: سلطان العدل (القسط)، وسلطان العلم (تصنيع الحديد)؛ أمَّا شرط توجيههما الوجهة الصحيحة فالكتاب والميزان؛ ذلك أنَّ الوحي إذا غاب كان العدل والعلم

في غير الغاية التي تسعد البشرية، وترضي الله تعالى.

- قاعدة كلية في العمارة: «كلُّ ما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقل، وكلُّ ما كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل» وهذا في المعنويات والماديات.

من الفكر إلى الفعل

- العدل والقسط من المقاصد الكبرى للشريعة الإسلامية، فلنقمهما في كلِّ شؤوننا.
- نسخِّر جميع المنافع لنصرة الله ورسله.
- امتلاكُ أسباب القوَّة، وبذل الجهد في جميع الصناعات والتكنولوجيات، واجب حضاريٌّ عينيٌّ.
- لنحرص على جميع العبادات، ومنها العبادات التكوينية: في التربية والتعليم، وفي الصناعة، وفي البحث العلمي، وفي الابتكار والاختراع.
- المعاملة مع الخالق وطريقُها «الكتاب»، أو مع الموافق وطريقها «الميزان»، أو مع العدو وطريقها «الحديد».
- للقراءة: تقرير بعنوان «**صناعة الحديد والصلب**» هبة عبد الدايم ومنار شعبان؛ صادر عام 2017 عن بنك الاستثمار القومي.

قال الله تعالى:

وَلَقَدۡ اَرۡسَلۡنَا نُوحًا وَإِبۡرَاهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَةَ وَالۡكِتَابَ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَاسِقُونَ ﴿26﴾

بذور المعنى

- ﴿وَلَقَدۡ اَرۡسَلۡنَا نُوحًا وَإِبۡرَاهِيمَ﴾: شجرة النبوءة باسقة، تمتدُّ إلى سيدنا آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في جذورها الأولى، ومن نوح إلى إبراهيم جذعُ تلك الشجرة؛ ثم عند إبراهيم تفرعت إلى أغصان، فكان منهم أبناء إسماعيل، وأبناء إسحاق، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَةَ وَالْكِتَابَ﴾: كانت النبوءة في ذرية نوح وإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وجعلت الكتب

السماوية من خصائص هذه الذرية المباركة.

- سيدنا إبراهيم هو من ذرية نوح، ولذا فالنبوات ترجع إليه جميعًا، وآية سورة النساء مبينة لذلك: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾.
- ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: فمنهم أي من الذرية؛ أي منهم من استجاب للرسل، واتبع الحقَّ والهدى، فكان من المهتدين، وهم قلَّة إذا ما قورنوا بالذين فسقوا، وكذَّبوا الرسل، ولم يكونوا مؤمنين، فكانوا من الكافرين.
- والقلة المهتدية في مقابل الكثرة الضالة، مما ورد في القرآن الكريم بشتى الصيغ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

التشغيل والتفعيل

- يحرص المؤمن أن يكون ابنًا وفيا لأنبياء الله جميعًا، فيكون ممن «اهتدى» بهديهم، لا ممن «فسق» وضلَّ عن سبيلهم: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا﴾. والرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى قال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

- انقسمت ذرية نوح وإبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فريقين: المؤمنون المهتدون، وهم قلَّة؛ والكفَّار الفاسقون، وهم الكثرة. ويوم القيامة ينقسم الناس فريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾؛ وليس في الكون تقسيم للبشر معتدٌّ به، بأيِّ اعتبار كان: عرقيٍّ، أو مذهبيٍّ، أو انتمائيٍّ... وأيُّ تقسيم آخر فهو باطل وردٌّ.
- الفرصة الوحيدة التي نلتقي فيها أنبياء الله جميعا، ونكون إلى جوارهم، ونسلِّم عليهم ويسلِّمون علينا؛ هي في الجنة، وفي الفردوس الأعلى، ولذا وجب أن نطيع الله كما أمر، ونعمل الصالحات، ثم ندعو الله أن يحشرنا مع ﴿النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

من الفكر إلى الفعل

- يحرص المؤمن أن يكون ابنا وفيّا لأنبياء الله جميعا.
- لا اعتبار لأي تقسيم خارج عن تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر، مهتد وفاسق، فريق في الجنة وفريق في السعير.
- ندعو الله أن يحشرنا مع ﴿النَّبِيئِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ ونعمل لأجل ذلك.
- معرفة الأنبياء واتباع النبيئين، والاعتبار بكل واحد منهم، فيما ورد في القرآن الكريم من القصص الحق؛ هو من أوكد الأولويات العلمية والتربوية.
- للقراءة: «**قصص الأنبياء**» لعبد الوهاب النجار.

قال الله تعالى:

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَئَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿27﴾

بذور المعنى

- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾: أي أتبعناهم بمن كان على آثارهم، غير خارج من منهجهم وخطِّهم وسبيلهم.
- والتقفية مشتقة من القفا، لأنَّ كلَّ رسول يأتي بعد رسولٍ آخر، فكأنه يمشي عن جهة قفاه أي من ورائه، متبعا آثاره، وهو ما يتركه السائر من مواقع رجليه في الأرض.

- ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾: ولقد جاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد يونس بن متى، ولكن بزمن طويل، ولذا لم يتكرر وصفُ «الأثر»؛ والإنجيل هو الكتاب المنزَّل على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مصدقا لما بين يديه من التوراة.

- ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾: الرأفة أن تزيل الآلام والشقاء، والرحمة أن تعطي بالزيادة والإحسان. كأنَّ الرأفة تخليةٌ، والرحمة تحليةٌ. ولقد كان الذين اتبعوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذين اهتدوا بهدي الإنجيل، على خُلق عالٍ، وعلى رحمةٍ وسماحةٍ فيما بينهم.

- ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾: مصدرٌ صناعيٌّ من الرهبة، أي الخوفُ الشديد؛ أو هي المبالغة الشديدة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس؛ وفي الرهبانية نسبةٌ إلى الراهب على غير قياس، لأنَّ قياس النسبة هو الراهبية.

- والرهبانيةُ التقشُّف والتخَلِّي عن أشغال الدُّنيا، وترك ملاذّها، والزُّهد فيها، والعزلة عن أهلها، والاستغراق في العبادة. وهو ما عرف بالتصوُّف بعد ذلك. ومن أحكام الراهب أنه لا يتزوج؛ لأنَّ الزوجة تشغله عن العبادة؛ ولا يخالط الناس لئلا

يُلهوه؛ ويترك لذائذ المآكل والملابس خشية الحرام.

- وهم قد أرادوا أن يتشبهوا بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في زهده، لكنَّ الآية دالَّة أنهم ابتدعوها بعد نبيهم، ولم تكن هذه الرهبانية معروفةً عند رسوله؛ ولقد كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مثل جميع الأنبياء زاهدا ورعا، ولم يكن رهبانيًّا متزمِّتا..
- ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ﴾: ما فرضناها رأسًا عليهم، ولكن ألزموها أنفسهم، وابتدعوها تشديدًا على أنفسهم، وهم في ذلك يريدون وجهَ الله؛ فأقرَّهم الله عليها ابتغاء رضوانه، ثم انقسموا قسمين: مؤمنين، وفاسقين.
- ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: ما أعطوها ما تستحقُّ من المحافظة والعنايةِ؛ وقد ذمَّهم الله تعالى بحيث إنهم نقضوا عهدا مع الله تعالى، ولم يوفوا بما كتب الله عليهم ابتغاءَ رضوانه.
- وقد استدلَّ الفقهاء من هذه الآية كراهيةَ أن يترك الإنسان نفلا وتطوعا تعوَّد عليه، فيكون كمن سنَّ لنفسه سنة حسنة ثم تخلَّى عنها. كما أخِذ من الآية قاعدة: «مَن ألزم نفسه شيئا ألزمناه عليه»، وقاعدة «حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين».
- ﴿فَئَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: أي أنَّ هذه الأمَّة

كسابقتها من الأمم، منهم مؤمنون بربهم، طائعون طيّعون؛ آتاهم الله تعالى أجرهم، فكانوا أهلا للحمد والذكر في الدنيا، وأهلا للجنة والرضوان في الآخرة.

- ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: غير أنَّ كثيرا منهم كفروا بما أُنزل إليهم من ربهم، وفسقوا عن أمر ربهم؛ والفاسق في القاموس القرآني هو «مَن عصى الله تعالى، وجاوز حدود الشَّرع، وخرج عن طاعة الله سبحانه، وانغمس في الملذَّات»؛ فهؤلاء كذلك آتاهم الله تعالى جزاءَهم؛ وجزاؤُهم الموفور جهنَّم خالدين فيها أبدا.

التشغيل والتفعيل

- كيف يمكن لشيء يمثِّل جانبا واحدا من جوانب الحياة (أي الدين المجرَّد، أو المادة المجرَّدة) أن يطبَّق على الحياة الواقعية بأسرها، وهي أكثر منه تعقيدا؟ ولا ريب أنَّ الرهبانية اختزالٌ للحياة في جانب واحدٍ دون آخر من جوانب الحياة، وهي مناقِضة للفطرة وللسنن الكونية، ولمقاصد الإسلام.
- الشفقة والرحمة: «وعندما لا يصدر كلامك مُحمّلًا

بألطاف من الشفقة والرحمة بأولئك المجذومين روحيًا ومعنويًا، فإنَّ كلامك معهم لا يزيد عن كونه ثرثرة لا يترك أثرًا في أحد».

- نهى الشارع عن التشدُّد في الدين، وعن الرهبانية والانقطاع عن حركة الحياة، قال الرسول ﷺ: «**لا تشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم، فإنَّ قوما شدَّدوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم**».
- الرهبانية في الإسلام تحوَّلت إلى حركةٍ وعمارة للحياة، ولم تقَرَّ أمَّة محمد ﷺ على السكون وعلى هجران الحياة، قال ﷺ: «**لكلِّ أمَّة رهبانية، ورهبانية أمَّتي الجهاد في سبيل الله**»؛ وليس الجهاد مقتصِرا على القتال، فكلُّ مناحي الحياة اليومَ تستدعي من المسلمين، أن يشمِّروا ويجاهدوا فيكونوا من الرهبانيين.
- والرهبانية هي أشدُّ شيءٍ على الإنسان، وهو في أمَّة الإسلام «السماحةُ والتسامح وعدم التعصُّب»، فقد باتت أصعب عبادة على الإطلاق، قال ﷺ: «**إنَّ الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيةَ السمحةَ**».
- التصوف الذي قاد إلى الدروشة والشعوذة، لا يمكن أن يقدِّم لنا الأساس اللائق للإصلاح، ونحن نحثُّ

خطونا للنهضة، فهو لا يستهدف سوى تطهير بعض النفوس من الخطايا، بينما المطلوب هو تغيير أمَّة بأسرها، لا رهبانيةَ فرد بمفرده.

- الفتوى والتشدُّد: عن سفيان الثوري قال: «الفتوى رخصةٌ من خبير؛ أمَّا التشدُّد فالكلُّ يتقنه»، وعن أبي سعيد الكدمي: «ليس العالِم من حمل الناس على ورعه، ولكنَّ العالِم من أفتاهم بما يسعهم من الحقِّ».
- إنَّ كلًّا من الدين المجرَّد، والمادة المجرَّدة، لا يمكن أن يوجَدا في الحياة؛ فالواقع العمليُّ يقول إنهما لكي يتواءما مع الحياة العملية يستعير كلٌّ منهما من الآخر. فالمسيحية (الرهبانية المبتدعة) التي تحوَّلت إلى كنيسة، شرعت تتحدَّث عن العمل، وعن الثروة، والقوة، والتعليم، والزواج... إلى غير ذلك من أمور الحياة المادية (فما رعوها حقَّ رعايتها). وعلى النقيض بدأت المادية وقد تحولت إلى اشتراكية أو نظام أو دولة، بدأت تتحدث عن الإنسانية، وعن الأخلاق، والمسؤولية، والحرية..
- من الناحية النظرية يمكن للإنسان أن يكون مسيحيًّا أو ماديًّا، فهو متطرف بشكل أو بآخر، ولكنَّ الأمور في الواقع لا تسير على هذا النحو الثابت؛ لا بالنسبة للمسيحي ولا بالنسبة للمادي.

- «وإذا هو الراهب الجليل، الذكيُّ الذي لا يأوي إلى صومعةٍ يعتزل فيها الحياة... بل يملأ الحياةَ بعمله، وبجهاده في سبيل الله...» في وصف الصحابي عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعنوان «**راهب، صومعته الحياة**»، من كتاب «**رجال حول الرسول**».

من الفكر إلى الفعل

- نحن على آثار الرسل لا نحيد عن منهجهم وخطِّهم وسبيلهم.
- نحبب الأنبياء لأبنائنا، بكلِّ الأساليب المشوِّقة.
- الرأفة والرحمة من خصال المؤمن الموفي.
- الرهبانية لم تُشرع في الإسلام، وقد ألزمها من قبلنا على أنفسهم، ابتداعا ثم خالفوها.
- نهى الشارع عن التشدُّد في الدين، وعن الرهبانية والانقطاع عن حركة الحياة.
- الرهبانية في الإسلام تحوَّلت إلى حركة وعمارة للحياة.
- «**لكلِّ أمَّة رهبانية، ورهبانية أمَّتي الجهاد في سبيل الله**».
- «**إنَّ الله أبدلنا بالرهبانيةِ الحنيفيّةَ السمحةَ**».
- منهج الأنبياء مغيَّب من نظريات المعرفة، والتربية، والإعلام... فلنعمل على إنزاله المقام اللائق.
- من مدخل مقام الوحي يمكن تحليل الفكر البشري تحليلا فلسفيا عميقا.
- للاطلاع: «**موسوعة التصوف**» لجون فرغسون، وهي تورد تراجم أعلام التصوف المسيحي، وتؤرخ لأهم الحركات والكتابات فيه. و«**موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**» لرفيق العجم. و«**رجال حول الرسول**» لخالد محمد خالد.

قال الله تعالى:

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُوتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿28﴾

بذور المعنى

- الله تعالى وصف المخاطَبين بالإيمان، ثم أمرهم بالتقوى وبالإيمان؛ كيف نفهم هذا المعنى؟
- ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ يا من آمنتم بالله صِلوا إيمانكم بالتقوى، وبالإيمان برسول الله المبلِّغ عنه؛ وكأنَّ الأمر لمؤمني المسيحية أن يؤمنوا بمحمد كما آمنوا بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فهذا نبيء وذاك خاتم النبيئين.
- وهو كذلك أمرٌ للمؤمنين الذين دخلوا في الإسلام أفواجًا، أن يصلوا إيمانهم بالتقوى، وباتباع الرسول،

وبتصديق من جاءهم من النبيئين قبل محمد ﷺ، وبالعمل الصالح الذي أمرهم بهم الله تعالى، وحملهم عليه رسول الله محمد ﷺ، قال سبحانه في سورة النساء: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾.

- التقوى: الوقاية، وهي فرطُ الصيانة، وتكون بمعنى الخوف، إلَّا أنها أعمُّ منه، وقد تشمل معاني واسعة في الدين. والتقوى هي المصدر الوحيد لكرامة الإنسان: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وأيُّ مصدر للتمييز بين الناس غير التقوى، إنما هو انحراف عن الصراط السوي، ودفعٌ للبشرية إلى الهاوية.

- ﴿يُؤتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾: الكِفل: النصيبُ من الأجر، والحظ الذي فيه الكفاية كأنه تكفَّل بأمره، و﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ نصيبين من رحمة الله وأجره: نصيبٌ لإيمانكم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونصيبٌ لإيمانكم بمحمد ﷺ، إن كان المخاطَب هم المؤمنون من النصارى؛ أمَّا إذا كان المخاطب هم المؤمنون من أمَّة محمد ﷺ، فكفلين تعني ضعفين من الجزاء، بخاصَّة لمن سبق في الإيمان؛ بمقابل ضعفين من العذاب لمن كفر وهو من أهل محمد ﷺ: ﴿يَا نِسَآءَ

النَّبِيءِ مَنْ يَّاتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (30) وَمَنْ يَّقْنُتْ مِنكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّوتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

- والكفلان من الرحمة كذلك: رحمةٌ في الدنيا، ورحمة في الآخرة؛ وهو المطلوب في الدعاء الذي ورد في كتاب الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاَخِرَةِ حَسَنَةً﴾.
- ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: في الدنيا هو نورُ البصيرة، وفي الآخرة هو النور الذي يؤتيه الله المؤمنين، ويحرم منه الكفارَ والمنافقين، وقد ذكِر من قبل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم...﴾، ﴿ثم يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ...﴾.
- ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أيْ إضافة إلى ما تقدَّم، فإنَّ الله الغفور الرحيم، يبشّركُم بمغفرة منهم ورحمة؛ ذلك أنَّ الإنسان مهما كان مقرَّبا من الله تعالى؛ حتى ولو كان نبيئًا أو رسولاً أو وليًّا، فإنه أحوج ما يكون إلى مغفرة ربه، وإلى رحمته جَلَّجَلَالُهُ.

التشغيل والتفعيل

- نداء الله تعالى لنا بـ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فيه تحبيب لنا، ونفحةٌ من رحمته علينا؛ فوجب أن نقابل ذلك بالإجابة الفورية، ونستجيب لكلِّ أمرٍ يأتينا منه سبحانه، بلا تردُّد ولا تلكُّؤ.
- الكفل من رحمة الله يغمرُ الوجود كلَّه، ولقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إنَّ الله خلق الرحمة يوم خلقها مائةَ رحمةٍ، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدةً؛ فلو يعلم الكافرُ بكلِّ الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكلِّ الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**».
- يجعل الله تعالى لمن آمن واستجاب نورا يمشي به، وهي هبة لدُنِّية منه سبحانه، تعبِّد الطريق للمؤمن المتقي في الدنيا، وتمنحه النور يوم الحشر، يوم يقول المنافقون والمنافقات ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. والفرق بين الدنيا والآخرة، أنَّ المؤمن في الدنيا يحمل النور لمن ضلَّ، ويدعو من ظلم نفسه إلى دائرة الخير؛ أمَّا في الآخرة فلا يملك ذلك، بل يقول: ﴿ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.

من الفكر إلى الفعل

- يا من آمنتم بالله صِلوا إيمانكم بالتقوى، وبالإيمان برسول الله محمّد ﷺ المبلِّغ عنه.
- التقوى هي المصدر الوحيد لكرامة الإنسان، فلنتق الله تعالى.
- نسأل الله من رحمته الواسعة: «اللهم ارزقنا كفلين من رحمتك، واجعل لنا نورا نمشي به، واغفر لنا؛ إنك غفور رحيم».
- للقراءة: «**الإشارات الإلهية**» لأبي حيان التوحيدي.

قال الله تعالى:

لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿29﴾

بذور المعنى

- ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾: أو لئلا يعتقد أهل الكتاب أنَّ محمَّدا ومن معه لا ينالون شيئا من فضل الله تعالى. أو لكي لا تقولوا: آمنا بعيسى ولا نؤمن بمحمَّد، وتحسدونه على أن منَّ الله عليه بالرسالة.
- قال الواحدي فيما نَقل عنه الرازي: «هذه الآية مشكلةٌ، وليس للمفسرين كلام واضح في اتصالها بما قبلها». ثم تعقَّبه: «واعلم أنَّ أكثر المفسرين على أنَّ «لا» هاهُنا صلةٌ زائدةٌ، والتقدير: ليعلم

أهل الكتاب». ثم بكونها زائدةً، يكون المعنى «أن يزيل تعالى من قلبِ أهل الكتاب اعتقادَهم بأنَّ النبوة مختصَّة بهم، وغير حاصلة إلَّا في قومهم»، والحال أنهم لا يملكون تخصيصَ فضل الله على قوم، ولا منعه عن آخرين.

- ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ﴾: لا حَجر على فضل الله تعالى، ولا اعتراض على قسمته سبحانه؛ ولا على حُكمه جَلَّجَلَالُهُ؛ قال تعالى عن قوم اعترضوا على النبوءة: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (13) اَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

- ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: لا يُعجزه إجزالُ العطية، ولا يُنقص العطاءُ من ملكه شيئا؛ وإحسان العظيم عظيمٌ؛ ولا ريب أنَّ نبوءة محمد ﷺ معظَّمة من الله تعالى، وهو الذي تفضَّل بها عليه، وعلينا، وعلى الناس جميعًا، قال جلَّ من قائل: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

التشغيل والتفعيل

- هي دعوة من الله تعالى للذين آمنوا إلى العمل والاجتهاد حتى يكونوا أهلا لنيل رحمته وفضله؛ ولا يكونوا كالذين غرتهم الأمانيُّ، واعتقدوا الفضل مفصولا عن الاستجابة لأمر الله، والاستسلام لدينه.
- عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس: أوتي أهل التوراة التوراةَ فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا؛ ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيلَ فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا؛ ثم أوتينا القرآن فعمِلنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين؛ فقال أهل الكتابين أي ربنا، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطا قيراطا، ونحن كنَّا أكثر عملا**». قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء**».
- فضل الله علينا عظيمٌ، ورحمته علينا واسعةٌ؛ فوجب أن نرحم عباده الضعفاء، وأن لا نبخل بالإحسان إلى المساكين؛ ولذا قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن،**

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وفي سورة النور قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَّغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

- أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ، فشكا إليه الجوعَ، فدخل رسول الله ﷺ، ثم خرج، فقال: «**ما أجد لك في آل محمد طعاما أطعمكاه**». فقال أحدهما: فأهدى له شاةً مصلية، وقال الآخر: حفنة من ثريد، فوُضعت بين يديه، فقال: **اطعم فطعم**، فلما شبع قال: يا رسول الله، أصابني ما أصابني، فأتيتك، فرزقني الله هذا على يديك، أفرأيت إن أصابني هذا، ولست عندك، فكيف أصنع؟ قال: قل: «**اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنتَ، فإن الله رازقك**».

من الفكر إلى الفعل

- لا حَجر على فضل الله تعالى، ولا اعتراض على قسمته سبحانه؛ فلنسأله من فضله ورحمته.
- نسأل الله مع اليقين أنه ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: لا يُعجزه إجزال العطية، ولا يُنقص العطاء من ملكه شيئا.
- هي دعوة من الله تعالى للذين آمنوا إلى العمل على أن يكونوا أهلا لنيل رحمته وفضله؛ ولا يكونوا كالذين غرتهم الأمانيُّ.
- «اللهمَّ إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلَّا أنت».
- علَّمنا ربنا حين يتفضل علينا أن نقول مع نبيء الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.
- للقراءة: «**المعجم الكبير**» للإمام الطبراني؛ و«**الظاهرة القرآنية**» لمالك بن نبي. و«**تأملات في الدين والحياة**» لمحمد الغزالي.

الحمد لله

فهرس الآيات

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ 18
﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ...﴾ 23
﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ...﴾ 28
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ 33
﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ...﴾ 41
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ...﴾ 46
﴿ءَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ...﴾ 51
﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُومِنُونَ...﴾ 56
﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ...﴾ 60
﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا...﴾ 65
﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ...﴾ 72
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُومِنِينَ...﴾ 78
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ...﴾ 83
﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن...﴾ 88
﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُوخَذُ...﴾ 95
﴿أَلَمْ يَانِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ 99
﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي...﴾ 106

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ...﴾ 111
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ...﴾ 115
﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ...﴾ 121
﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ...﴾ 128
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...﴾ 133
﴿لِكَيْلاَ تَاسَوْا...﴾ 139
﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَامُرُونَ...﴾ 143
﴿لَقَدَ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا...﴾ 148
﴿وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾ 155
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا...﴾ 159
﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ 167
﴿لِّيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ...﴾ 172